الجمهورية التركية

جامعة ماردين أرتقلو

معهد الدراسات العليا

قسم التاريخ

رسالة الماجستير

دور علماء الجزيرة الفراتية في مواجهة التهديدات الخارجية في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

الطالبة. بيريفان دنيزر

إشراف: د. نرجس كدرو

ماردين- 2023

الجمهورية التركية

جامعة ماردين أرتقلو

معهد الدراسات العليا

قسم التاريخ

رسالة الماجستير

دور علماء الجزيرة الفراتية في مواجهة التهديدات الخارجية في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

الطالبة: بيريفان دنيزر

إشراف: د. نرجس كدرو

ماردين – 2023

TEZ ONAY

Enstitümüzün Tarih Bilimleri Ana Bilim Dalı 20806006 numaralı öğrencisi **BERIVAN DENIZER**'ın hazırladığı "**12. ve 13. yüzyıllarda Fırat Adasının Alimlerinin Dış Tehditlere Karşı Rolleri**" başlıklı YÜKSEK LİSANS tezi ile ilgili TEZ SAVUNMA SINAVI, Lisansüstü Eğitim-Öğretim ve Sınav Yönetmeliği uyarınca 25/11/2022 pazartesi günü saat 1:100'te yapılmış, tezin onayına OY BİRLİĞİYLE karar verilmiştir.

Başkan…….. (İmza)
Dr. Öğr. : NARJES KADRO (Danışman)

Üye ……... (İmza)

Dr. Öğr. RACHID CHIKHOU

Üye ……... (İmza)

Dr. Öğr: AHMAD ALKHALIL

ONAY

Bu tezin kabulü, Enstitü Yönetim Kurulu'nun……. Tarih ve…… sayılı kararı ile onaylanmıştır. ...../...../20.....

Enstitü Müdürü

Dr. Öğr. Üyesi. Ömer Murat Öter

التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية

أتعهّد في هذه الأطروحة التي أعددتها متوافقة مع قواعد كتابة الأطروحة لمعهد الدراسات الاجتماعية بجامعة ماردين أرتقلو بأنّه:

• كافة المعلومات الموجودة في الرسالة، حصلت عليها في إطار السلوك الأخلاقي والقواعد الأكاديمية

• عملت وفقًا للأخلاق العلمية والقواعد الأخلاقية في جميع مراحل عمل الأطروحة، بما في ذلك الإعداد، والمعلومات، والوثائق، وجمع البيانات، وتحليل، وعرض المعلومات

• عزوت إلى جميع المصادر المستخدمة في الأطروحة دون نقص وتضمنت قائمة المصادر/الببليوغرافيا جميع المصادر المستخدمة

• عمل الأطروحة أصلي

• تم مسح هذه الأطروحة من خلال "برنامج الكشف عن الانتحال العلمي" الذي تستخدمه جامعة ماردين أرتقلو وتقرر أنها لا تحتوي على انتحال "سرقة أدبية" بأي شكل من الأشكال، وفي حالة حدوث عكس ما بينته أقرّ بأنني أقبل جميع التبعات القانونية.

التوقيع

بيريفان دنيزر

25.11.2022

المقدمة

أتقدّم بخالص شكري إلى مشرفتي المحترمة الأستاذة الدكتورة نرجس كدرو التي كانت لي سنداً في إعداد رسالتي في كل مراحل إعدادها. كما أتقدم بالشكر أساتذتي الأفاضل الذي أفادونا من علومهم في مرحلة الدروس الأستاذ الدكتور متين شريف اغلو، والأستاذ الدكتور رشيد شيخو، والأستاذ الدكتور مهنا الرشيد، وأود أن أشكر زوجي العزيز وعائلتي الحبيبة لدعمهم الثابت طوال دراستي الجامعية والدراسات العليا.

بيريفان دنيزر

ماردين – 2022

المحتويات

التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية..... III

المقدمة..... IV

الملخص VIII

ÖZET X

ABSTRACT..... XII

المختصرات..... XIV

المقدمة..... 1

الفصل الأول 10

أوضاع المشرق الإسلامي والجزيرة الفراتية قبيل الغزو الصليبي للمشرق 10

1.1.الأوضاع العامة في المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية:..... 10

1.1.1.أوضاع الجزيرة الفراتية السياسية والاجتماعية والفكرية في القرن السادس الهجري:..... 14

2.1. التسمية والموقع الجغرافي لإقليم الجزيرة الفراتية: 19

1.2.1.مدن الجزيرة الفراتية وتاريخها: 21

الفصل الثاني 30

دور علماء الجزيرة الفراتية في الجهاد ضد الصليبين..... 30

1.2.ظهور الخطر الصليبي وأثره في إقليم الجزيرة الفراتية:..... 30

2.2.أبرز علماء الجزيرة الفراتية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي: 32

3.2. الفقيه عيسى الهكاري:..... 34

1.3.2.دور عيسى الهكاري في الجهاد ضد الصليبين:..... 40

4.2. ابن شداد مكانته ومؤلفاته (539هـ/1145م- 632هـ/ 1234م): 45

1.4.2. دور ابن شداد في الحث على الجهاد: 47

2.4.2. مشاركة ابن شداد بالجهاد ضد الصليبين: 49

3.4.2. دور ابن شداد في عهد أبناء صلاح الدين: 52

5.2.عز الدين ابن الأثير مكانته وكتبه (555-630هـ/ 1160- 1232م):..... 54

1.5.2.دور ابن الأثير في الجهاد ضد الصليبين: 56

6.2. ضياء الدين ابن الأثير مكانته ومؤلفاته: (558- 637هـ/ 1163-1239م) 58
الفصل الثالث 61
المواقف السياسية والفكرية لعلماء المسلمين في الجزيرة الفراتية من الغزو الصليبي ودورهم الجهادي: 61
1.3.القاضي كمال الدين الشهرزوري: (492هـ-572هـ/ 1099- 1176م) 61
2.3. شرف الدين ابن أبي عصرون مكانته ومؤلفاته:(492- 585هـ/ 1099- 1189م): 65
1.2.3. حملة البشارة إلى الخلافة العباسية: 66
3.3.الشيخ عماد الدين بن يونس:(535-608هـ/ 1140-1211م) 67
4.3. الدور الاجتماعي والتوعوي لعدي بن مسافر 467-557هـ/ 1074- 1161م: 69
الفصل الرابع 73
أوضاع المشرق الإسلامي السياسية والاقتصادية والدينية قبيل الهجوم المغولي 73
1.4. أوضاع الخلافة العباسية قبيل الغزو المغولي: 73
1.1.4. الأوضاع السياسية للخلافة العباسية: 73
2.1.4. الأوضاع الاقتصادية والدينية: 75
3.1.4. الأوضاع العلمية والثقافية: 76
2.4. ظهور المغول وسياستهم التوسعية: 78
1.2.4.الغزو المغولي للجزيرة الفراتية (627هـ/ 1230م): 80
2.2.4 المغول وسياستهم التوسعية: 83
الفصل الخامس 87
دور علماء الجزيرة الفراتية في الجهاد ضد المغول 87
1.5. دور شرف الدين ابن تيمية في الحث على الجهاد: 87
2.5. شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية مكانته ومؤلفاته: 89
1.2.5.الغزو المغولي للشام ودور ابن تيمية في مواجهتها 699هـ/ 1299م: 91
2.2.5. دور شيخ الإسلام ابن تيمية في الحث على الجهاد: 94
3.2.5.دور ابن تيمية في معركة شقحب: 95
4.2.5. دور ابن تيمية في التصدي لمظاهر الفساد: 98
الفصل السادس 101

الدور الدعوي والتربوي لعلماء المسلمين في الجزيرة الفراتية من الغزو المغولي..... 101
1.6. دور ابن صلاح في إصلاح المجتمع:..... 101
2.6. شمس الدين ابن خلكان مكانته ومؤلفاته (608- 681هـ/ 1211- 1282م): 107
3.6. الأمير علم الدين سنجر مكانته:..... 109
4.6.دور النساء العالمات في النهضة العلمية: 111
1.4.6.التعرف بكبار المحدثات وبيان جهودهن في خدمة الحديث:..... 112
1.5.6.إسهامات المرأة في العمارة:..... 119
الخاتمة..... 123
المصادر والمراجع..... 126

الملخص

رسالة ماجستير

دور علماء الجزيرة الفراتية في مواجهة التهديدات الخارجية في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

بيريفان دنيزر

جامعة ماردين آرتوكلو

معهد الدراسات العليا

قسم التاريخ

2022: 153صفحة

يعتبر العلماء والفقهاء الشريان الرئيس في نهضة ورقي الحضارة، فهم المجددون الحقيقيون وأصحاب الريادة في نهضة الأمم، وللعلماء مكانة رفيعة عند الله ومنزلة سامية في المجتمع الإسلامي، فهم ورثة الأنبياء وحاملو راية الإسلام، وبفتواهم يستنير المجتمع، فهم صمام الأمان أمام موجات الفتن والمحن التي يتعرض لها المجتمع الإسلامي، ومن أعظم المحن التي تعرض لها المسلمون في تاريخيهم الحروب الصليبية سنة 490هـ/ 1096م، والغزو المغولي المدمر الذي اجتاح بلدان العالم الإسلامي سنة 616هـ/ 1219م.

ومن هنا تبرز أهمية دراسة هذا الموضوع المهم للكشف عن مواقف نخبة من أهم نخب المجتمع ألا وهي نخبة العلماء وبيان مواقفهم من هذا الغزو لبلاد الجزيرة الفراتية، ومدى مساهمة هذه المواقف في تحقيق الانتصارات في المعارك.

وقد تم هذا الموضوع من خلال مقدمة وستة فصول وخاتمة تضمنت أهم النتائج، تناول الفصل الأول أوضاع المشرق الإسلامي والجزيرة الفراتية قبيل الغزو الصليبي و جغرافية الجزيرة الفراتية وأهم مدنها، أما الفصل الثاني فتناول دور علماء الجزيرة الفراتية في الجهاد ضد الصليبين، وأثر الخطر الصليبي في إقليم الجزيرة الفراتية، وأبرز علمائها وبيان دورهم

في الجهاد ضد الصليبين كالفقيه عيسى الهكاري الذي ساهم بتثبيت دعائم الدولة الأيوبية، وبهاء الدين ابن شداد، وفي الفصل الثالث وضح الباحث المواقف السياسية والفكرية لبعض العلماء في الجزيرة الفراتية من الغزو الصليبي ودورهم الجهادي، كالقاضي كمال الدين الشهرزوري، وشرف الدين ابن أبي عصرون، وتناول الفصل الرابع أوضاع المشرق الإسلامي السياسية والاقتصادية والدينية قبيل الهجوم المغولي حيث انتشر التصوف والتشيع، وكان العالم الإسلامي في حالة كبيرة من الضياع والتشتت، إضافة إلى غارات المغول على الجزيرة الفراتية، وتناول الفصل الخامس دور علماء الجزيرة الفراتية في الجهاد ضد المغول، وأثر شيخ الإسلام ابن تيمية، وتضمن الفصل السادس والأخير من الدارسة الدور الدعوي والتربوي لعلماء المسلمين في الجزيرة الفراتية من الغزو المغولي، وبيان دور ابن الصلاح في محاربة الفساد في المجتمع من البدع والمبتدعين، ودراسة فئة خاصة من النساء العالمات والفقيهات والمحدثات ممن كان لهن دور كبير سواء من خلال الاهتمام بالعلوم الدينية كالفقه والحديث أو من خلال إنشاء المدارس، كربيعة خاتون وزمرد خاتون.

واتضح من خلال هذه الدراسة حرص العلماء على تطهير المجتمع من مواطن الفساد التي كانت منتشرة في المجتمع حرصاً منهم على تهئية المجتمع من الناحية المعنوية للتصدي للمغول، وظهر في البحث مواقف رائعة لعلماء في كافة الميادين كالمشاركة في الجهاد وتوجيه الأمة ونشر الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الجزيرة الفراتية، دور العلماء المسلمين، الحروب الصليبية، الغزو، المغول.

ÖZET

Yüksek Lisans Tezi

“Hicri 6. ve 7.yüzyıllarda/miladi 12.ve 13.yüzyıllarda Fırat Adasının Alimlerinin dış tehditlere karşı durmaktaki rolü”

Berivan DENIZER

Mardin Artuklu Üniversitesi

Lisansüstü Eğitim Enstitüsü

Tarih Anabilim Dalı

2022: 153Sayfe

Medeniyet gelişimin deve toplumların ilerlemesindeki en önemli faktölerin arasına alimler ve fakihler gelir. Peygamberlerin varisi ve islamın sancağını taşıyanlar oldukları için alimler, Allah katında ve müslüman toplumda büyük bir yere sahiptir. Şayet onların fetvaları ile toplum aydınlanabilir. Müslümanların maruz kaldığı fitne ve musibetlere karşı müslümanların güvenlik çemberi ve müdafaa hattı olmuşlar. Müslümanların maruz kalıp yaşadığı en büyük sınavlardan iki vakası 490h./ 1096 m. yılında gerçekleşmiş olan Haçlı seferleri ve 616h./ 1219 m. yılında İslam diyarını savuran Moğol istilaları idi.

Toplumun en önemli kesimlerinden biri olan seçkin âlimlerin tutumlarını incelemek, Fırat bölgesinin işgaline karşı tutumlarını ve zaferlerin elde edilmesi konusunda ne kadar bir katkıda bulunduğunu inceleyip netleştirmek için bu önemli konunun incelenmesini önemi yukarıdaki belirttiği malimlerin öneminden kaynaklanmaktadır.

Bu konubirgiriş, altı bölüm ve en önemli bulguları içeren bir sonuçtan oluşan bu araştırma aracılığıyla incelenmiştir.

Birinci bölüm, Fırat bölgesinin ve en önemli şehirlerinin tarihi özetini ve Hicrialtıncı ve yedinci yüzyıllar ile Miladi on ikinci ve on üçüncü yüzyılların önemini ele aldı.

İkinci bölümde ise, Haçlı Seferleri öncesi İslâmî Doğu'nun genel durumu, Haçlı tehlikesinin Fırat bölgesindeki etkisi ve Eyyubi devletinin temellerini atan Fakih İsa

el-Hakari gibi önde gelen âlimleri ve onların Haçlılara karşı cihadda kirollerini anlatmıştır.

Üçüncü bölüm de araştırmacı ,Selahaddin Eyyubi'nin çağdaşı ve ilmî hareketin ilerlemesine katkıları bulunan Bahaaeddin İbn Şeddadel-Mevsilive ilk Moğol saldırıların atanık olan ve Cengiz Han'ın hükümdarlığı ve İslam ülkelerindeki Moğol ordularının hareketlerini izleyip inceleyebilen İbnü'l-Esirel Cezeri gibi Fırat Adası'ndaki alimlerin Haçlı istilasına karşı siyasi ve entelektüel konumlarını ve cihatçı rollerini açıkladı.

Dördüncü bölümde, Tasavvufun ve Şiiliğin yayıldığı ve İslam dünyasının büyük bir kayıp ve dağılma içinde olduğu Moğol saldırısı öncesi İslami Doğu'nun durumu ve Fırat adasına yapılan Moğol saldırıları ele alınmıştır.

Beşinci bölümde, Moğol istilaları sırasında Müslüman âlimlerin cihattaki rolü ele alınmış. Özellikle İbnü's-Salah'ın toplumdaki sapkınlıklardan ve bidatlerden kaynaklanan yozlaşmayla mücadeledeki rolü ve Şeyhel-İslam İbn Teymiyye'nin Moğollara karşı cihade etkisi açıklanmıştır.

Çalışmanın son bölümü olan altıncı bölümde ise gerek fıkıh ve hadis gibi dini ilimlere olan ilgileri gerekse de medreselerin kurulmasıyla önemli bir rol oynayan Rabia Hatun ve Zümrüd Hatun gibi âlim, fakih ve muhaddis kadınlardan oluşan toplumun birkesimi incelenmiştir.

Bu çalışma sayesinde, âlimlerin toplumu, toplumda yaygın olan fitne ve yozlaşma kaynaklarından arındırmaya ne kadar hevesli oldukları anlaşılmıştır.

Bu çalışma sayesinde, müslüman topluluğun Moğollara karşı durabilmelerini uman alimlerin toplumu, toplumda yaygın olan fitne kaynaklarından arındırmaya ve onları manevi açıdan hazırladıkları ve bukonuda ne kadar hevesli oldukları anlaşılmıştır.

Bu araştırmada milleti yönlendirip rehber etmek ve cihada katılıp katılmaya teşvik etmek ve İslam'ı yaymak gibi her alan da alimlerin harikulade duruşları ortaya çıkmıştır.

Anahtar kelimeler: Müslüman alimlerin rolü, haçlı savaşlar, Moğol istilası h. Altıncı ve yedinci yüzyıllar, m. On ikinci ve onüçüncü yüzyıllar

ABSTRACT

Master Thesis

The role of Scholars of Euphrates's Jazeera in confront external threats during the 12th and 13th centuries.

Berivan Dnizer

Mardin Artuklu University

Institute of Graduate Education

Department of History

2022: 153 pages

Islamic scholars are considered the main factor in the development and advancement of civilization. They are the true innovators and pioneers in the renaissancehave a high status with Allah, and they are highly regarded by the Islamic community.They are the heirs of the prophets and the bearers of the banner of Islam,With their fatwas, the society is informed, where they are the safety valve in front of the waves of sedition and ordeal to which the Muslim community is subjected, Among the greatest adversity to which Muslims have been subjected in their history are the Crusades of 490 Ha/1096, and the devastating Mongolian invasion of the Muslim world in 616H/1219.

Hence the importance of studying this important topic to reveal the positions of the elite elites of society, namely, the elite scientists and their positions on this invasion of Jazeera, and the extent to which these positions contribute to the achievement of victories in the battles.

This Study divided to introduction with six chapters and a conclusion, Chapter One reviewed the historical overview of the territory of Jazeera, its most important cities during of the 12th and 13th centuries, Chapter Two, discussed the general conditions in the Islamic statue just before the Crusades, the impact of the Crusader threat on the territory of Jazeera, and its Scholars have highlighted and demonstrated their role in the jihad against the crusaders such as Fakih Issa Al-Hakkari who has

established the foundations of the AyubanState.In chapter three, explained the political and intellectual attitudes of scholarson Jazeera from the Crusader invasion and their jihadist role, asBhad al-Din Ibn Shadad al-Mossali, who contemplated Salah al-Din al-Ayobi and his contributions to the presentation of the scientific movement, also like Ibn Al-Ather Al-Jazri, who contemplated the first Mongol attacks under Genghis Khan and monitored the movements of Mongolian armies in Islamic countries, the Chapter four, addressed the conditions of the Islamic countries before the Mongol attack, where mysticism and Shiite spread, and the Islamic world was in a great state of loss and fragmentation, in addition to the Mongol raids on Jazeera,In chapter five, addressed the role of Muslim scholars in the jihad after conquest of the Mughal and the statement of the role of Ibn al-Salah in the fight against corruption in society from fads and innovators, and the influence of the sheikh of Islam Ibn Temia in the jihad against the Mughals, in chapter six, included a special category of women scholars, jurists and modernists, who played a significant role both through attention to religious sciences such as jurisprudence and talk and through the establishment of schools, as Rabia Khatun and Zmurad Khatun.

The study demonstrated scholars' desire to cleanse society of corruption that had been widespread in society to ensure that society was morally prepared to address the Mongols. The research showed remarkable attitudes for scientists in all fields, such as participation in jihad, the direction of the nation and the dissemination of Islam.

Keywords: The Euphrates Jazeera, the role of Muslim scholars, the Crusades, the Mongol invasion.

المختصرات

ت	:	تاريخ الوفاة
تر	:	ترجمة
ج	:	الجزء
د. ت	:	دون تاريخ نشر
د. ن	:	دون ناشر
ط	:	رقم الطبعة
م	:	للدالة على السنة الميلادية.
مج	:	مجلّد
تح	:	تحقيق
هـــ	:	للدلالة على السنة الهجرية.
د.م	:	دون مكان النشر.
مر	:	مراجعة
ع	:	العدد
ق	:	قس

المقدمة

مرت الأمة الإسلامية بأحداث جسيمة عبر مراحل تاريخها الطويل، كما تعرضت للكثير من الحملات التي استهدفت احتلال أراضيها واستباحت حرماتها و كان الخطران الصليبي والمغولي من أشد الأخطار التي تعرضت لها هذه الأمة، كما يعد القرنان السادس و السابع الهجريان/ الثاني عشر و الثالث عشر الميلاديان من أسوأ القرون التي عصفت بتاريخ أمتنا وتمثل ذلك بالغزو الصليبي الذي كان في أوجه ومن ثم الغزو المغولي الهمجي الذي انهال على الأمة كما الجراد، وبما أن منطقة الجزيرة الفراتية قد ارتبطت مدة من تاريخها بتاريخ الغزو الصليبي والمغولي.

ظهر في هذا البحث مواقف للعلماء المسلمين في شتى الميادين منها دور دعوي يتمثل بتوجيه الأمة وحثها على الجهاد ونشر الإسلام، حيث كان للعلماء دور في هذه الحروب فدورهم لا يقل عن مشاركة المقاتلين بالجهاد وحثهم على القتال ومرافقتهم للجيوش الإسلامية.

وسيحاول الباحث استعراض أبرز العلماء في مدن الجزيرة الفراتية (ماردين– دياربكر– نصيبين– ميافارقين– جزيرة ابن عمر– الموصل– الرها – سروج) ودورهم العلمي فيها وأهم مؤلفاتهم ووظائفهم التي تقلدوها، سنعرض في هذا البحث جغرافية الجزيرة الفراتية وأسماء العلماء المنسوبين إلى الجزيرة الفراتية، وبما أن العلماء هم النخب المهمة في المجتمع فإن معرفة موقفهم من هذا الغزو له أهمية كبيرة.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع في عدة جوانب منها:

– يعد القرنان الثاني والثالث عشر من أخطر القرون التي مرت على الأمة الإسلامية خلال تاريخها، وذلك لتعرضها للغزوات الصليبية والمغولية التي استباحت أراضيها ونهبت خيراتها.

–الموقع الممتاز للجزيرة الفراتية منذ القدم وحتى حقب متأخرة من العصور الإسلامية، حيث إنها صلة وصل بين بلاد الشام والعراق من جهة كما أن ثغورها ربطتها بالبلاد المجاورة كالدولة البيزنطية من جهة أخرى.

– كما أردت أن أذكر دور أبرز العلماء في منطقة الجزيرة الفراتية، ومن هؤلاء العلماء والفقهاء الذين برزوا في بداية الغزو الصليبي وحمل السلاح ضدهم الفقيه عيسى الهكاري الذي لعب دورا بارزا في قتال الصليبين، ومشاركة بعض العلماء في تشجيع التعليم ونشره في كل من الموصل وبلاد الشام كالقاضي كمال الدين الشهرزوري الذي بنى المدرسة الكمالية وكان له دور في الوحدة الإسلامية والجهاد، كما كان لبعضهم دور في تشجيع وتحريض الناس على الجهاد في سبيل الله كالقاضي ابن شداد ومساهماته في تقديم الحركة العلمية، وابن الصلاح الذي ينضم إلى العلماء المجاهدين في توجيه الحديث الشريف لخدمة الجهاد ضد المغول، وقد شغل بعضهم مناصب وبعضهم عمل كسفير للسلاطين إلى الخلافة العباسية وإلى بعض حكام الدول الإسلامية كالقاضي كمال الشهرزوري وابن عصرون فكانا سنداً لنور الدين، ومن العلماء الذين كان لهم دور في التصدي للغزو المغولي، أبو الحسن المعروف بابن الأثير الجزري الذي عاصر الهجمات المغولية الأولى في عهد جنكيزخان وقام برصد تحركات الجيوش المغولية في البلدان الإسلامية، وشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية الذي عاش في عصر مملوء بالبدع والخرافات وعاصر غزوات المغول وقد كان له دور في التصدي لهم، فلم يقتصر دور العلماء على الوعظ والتحريض على الجهاد فحسب ولكن امتد دورهم للمشاركة الفعلية في الجهاد ضد الصليبيين والمغول.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

أسباب عديدة دفعتني لاختيار هذا الموضوع منها:

–غياب الدراسات التاريخية حول هذا الموضوع وما لهذه المنطقة من أهمية كبيرة نظرا لموقعها الاستراتيجي.

–أن هذه المنطقة اشتهرت بتقاليد الجهاد قبل هذا التاريخ بحكم مجاورتها للإمبراطورية البيزنطية لمدة طويلة فأصبحت بذلك تشكل خط الدفاع الأول عن ثغور المسلمين ضد البيزنطيين.

– الرغبة بإيضاح الصفحات المشرفة لجهاد الكثير من أعلام المسلمين ومجاهديهم.

– أردت أن أجمع في هذا البحث أكبر عدد ممكن من تلك القدوات الصالحة من العلماء الذين شاركوا في هذا الجهاد، وأن أتعمق في دراسة هذه الشخصيات العظيمة.

– اخترت لدراستي هذا الموضوع للبحث علني أستطيع أن أسد فجوة في المكتبة التاريخية الخاصة بأبطال الجهاد الإسلامي ضد الأخطار الخارجية ومساهماتهم في بعث روح الوحدة بالجبهة الإسلامية.

حدود الدراسة:

الحد الزماني: تبدأ من سنة 1106 – 1299م

الحد المكاني: تركز الدراسة على منطقة الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

الدراسات السابقة:

بعد اطلاع الباحث في المكتبات الالكترونية، وفهارس المكتبات العربية، وجدت بعض الدراسات التي تناولت بيان مواقف ودور العلماء من العزو الصليبي والمغولي، وهذه الدراسات هي:

دراسة للباحث عبد الفتاح عبد الله عاشور وعنوانه "جهود علماء مصر والشام في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية" وهي رسالة ماجستير نوقشت بجامعة غزة.

ودراسة للباحث عبد الله بن فراج بعنوان "دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول" وهي رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى.

والدراسة التي قامت بها الدكتورة آسيا سليمان نقلي وعنوانها "دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبين".

مشكلة البحث:

-هل كان للعلماء في الجزيرة الفراتية دور في التصدي للغزو الصليبي والمغولي.

-ما هو موقف العلماء من الغزو الصليبي للجزيرة الفراتية.

-هل كان للعلماء دور في الحث على الجهاد.

فروض الدراسة:

كان للعلماء أثر بارز في الجهاد ضد الصليبين كالفقيه عيسى الهكاري، وبهاء الدين بن شداد الذي ظهر كسفير وجندي في ساحات القتال، وكقائد عسكري، وواعظا يحث الجيش للجهاد، ودور الشيخ ابن تيمية في جهاد المغول.

المشاكل والصعوبات:

من الصعوبات التي واجهت الباحث هو صعوبة الحصول على معلومات وافية عن العالمات النساء في منطقة الجزيرة الفراتية، لندرة المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذا الموضوع.

وقد زاد في الصعوبة تفرق المادة العلمية في مصادر متعددة استغرق جمعها والبحث عنها جهدا ووقتا كبيرين، فبحثت في كتب الدولة العباسية والأيوبية والخوارزمية إضافة إلى كتب تاريخ المغول، وراجعت كتب التراجم والطبقات، تمكنت خلال ذلك من الاطلاع على كثير من المصادر حتى أجمع مادة هذا البحث ولله الحمد.

منهج الدارسة:

اتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي للأحداث بهدف الوصول إلى نتائج صحيحة قدر الإمكان، وبموجب هذا المنهج قسمت الدراسة إلى ستة فصول، تسبقها المقدمة، وفي آخرها خاتمة توضح أهم النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع، وهي على النحو الآتي:

المقدمة: وتحتوي على التعريف بالموضوع وأهميته، وأسباب اختياره، وخطة الدراسة وتحليل لأهم مصادر الدراسة.

وقد جاء **الفصل الأول** تحت عنوان: أوضاع المشرق الإسلامي والجزيرة الفراتية قبيل الغزو الصليبي وجغرافية الجزيرة الفراتية وأهم مدنها، أما **الفصل الثاني** فتناول دور علماء الجزيرة الفراتية في الجهاد ضد الصليبين وأثر الخطر الصليبي في إقليم الجزيرة الفراتية، وأبرز علمائها وبيان دورهم في الجهاد ضد الصليبين كالفقيه عيسى الهكاري، وبهاء الدين ابن شداد، وابن الأثير وفي **الفصل الثالث** وضح الباحث المواقف السياسية والفكرية للعلماء في الجزيرة الفراتية من الغزو الصليبي ودورهم الجهادي، كالقاضي كمال الدين الشهرزوري، وشرف الدين ابن أبي عصرون.

وانتقل الباحث في **الفصل الرابع** إلى أوضاع المشرق الإسلامي السياسية والاقتصادية والدينية قبيل الهجوم المغولي حيث انتشر التصوف والتشيع، وكان العالم الإسلامي في حالة كبيرة من الضياع والتشتت، إضافة إلى غارات المغول على الجزيرة الفراتية.

وفي **الفصل الخامس** تناول دور علماء الجزيرة الفراتية في الجهاد ضد المغول وبيان دور ابن تيمية في معركة شقحب، وفي **الفصل السادس** تناول الدور الدعوي والتربوي للعلماء المسلمين في الجزيرة الفراتية من الغزو المغولي وبيان دور ابن صلاح في محاربة الفساد في المجتمع، ودراسة فئة خاصة من النساء العالمات والفقيهات والمحدثات اللائي كان لهن دور كبير سواء من خلال الاهتمام بالعلوم الدينية كالفقه والحديث أو من خلال إنشاء المدارس.

وتلا ذلك خاتمة تشتمل على أبرز النتائج الخاصة بالدراسة، ثم عرض قائمة المصادر والمراجع.

دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث:

اعتمد الباحث في إعداد هذا البحث على عدة مصادر ذات أهمية كبيرة ولها صلة بموضوع الدراسة ومن بين هذه المصادر نذكر من أهمها:

كتب التاريخ العام:

من المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب بهاء الدين ابن شداد المتوفى سنة (632هـ/ 1234م) في مؤلفه المعروف بـ "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" فقد سجل فيه معظم الأحداث والوقائع التي حدثت في بلاد الشام أيام صلاح الدين الأيوبي، وذكر فيها المعارك التي خاضها صلاح الدين، خاصة وأن ابن شداد كان من المقربين إليه وأحد قضاته، وقد أفاد البحث منه في ذكر المعارك التي خاضها صلاح الدين ضد الصليبين.

كما اعتمدت الدراسة بدرجة كبيرة على كتاب أبي شامة المتوفى سنة(665هـ/1266م) "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" وتحدث في كتابه عن التاريخ السياسي والعسكري للدولتين الزنكية والأيوبية، بالإضافة إلى بيان دور نور الدين زنكي في نشر التعليم من خلال بناء المدارس ودار الحديث، وتحدث عن أعمال صلاح الدين الخيرية، والكتاب في خمسة أجزاء ورد فيه تراجم مفصلة لعدد من علماء العهد الزنكي، وقد أفاد الباحث من هذا المصدر إفادة كبيرة في كل فصول الدراسة، كما واستفاد الباحث من مصدر آخر لأبي شامة وهو" تراجم القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين" المعروف بـ"الذيل على الروضتين" تحدث فيه عن الفترة من 590هـ/ 1194م- حتى وفاته سنة 665هـ/ 1266م، وذكر في الكتاب تراجم للعلماء والفقهاء الذين عاشوا في بلاد الشام في تلك الفترة.

اعتمدنا أيضا على كتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" لابن واصل المتوفى سنة (697ه/ 1297م) والكتاب في خمسة أجزاء، تحدث فيه عن الفتوحات التي حققها صلاح الدين وخلفاؤه، أفاد الباحث من هذا المصدر في التحدث عن دور العلماء.

وكتاب ابن العديم المتوفى سنة (660هـ/ 1262م) "زبدة الحلب في تاريخ حلب" وتحدث فيه عن تاريخ حلب وحكامها وقضاتها، وكتابه الثاني "بغية الطلب في تاريخ حلب" فيه معلومات عن تاريخ بلاد الشام والتاريخ الإسلامي عامة، وقد أفاد الباحث كثيراً من هذين المصدرين، وخاصة عند دراسة أوضاع بلاد الشام قبيل الاحتلال الصليبي.

واعتمدنا على كتاب ابن الأثير الجزري المتوفى سنة (630هـ/ 1232م) المعاصر لأحداث الغزو الصليبي، والمغولي في كتابه" الكامل في التاريخ" فقد أمدنا بالكثير من المعلومات حول أوضاع بلاد الشام، وأخبار الحروب الصليبية، وأخبار المغول، وذكر معلومات قيمة عن تراجم علماء تلك الحقبة في جميع الميادين.

وكتاب "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل" الذي يعد مصدراً مهماً لحكم الزنكيين في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، قدم لنا معلومات مهمة عن الزنكيين وبخاصة فيما يتعلق بجهود هذه الدولة في المجالات الحضارية عامة والناحية العلمية خاصة.

ويعد كتاب "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان" لسبط ابن الجوزي المتوفى (654هـ/ 1256م) من مصادر الدراسة المهمة، والجزء الذي أمكن الإفادة منه هو الجزء الثامن، الذي تناول فيه تاريخ وحوادث القرنين السادس والسابع الهجريين، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب في ترجمة الكثير من علماء العهد الزنكي الذين شاركوا في الحياة العلمية في تلك الفترة.

واعتمدنا على كتاب "البداية والنهاية" لعماد الدين ابن كثير المتوفى (774هـ/ 1372م) وقد سبر الكتاب على نظام يذكر فيه في كل سنة أهم الأحداث في العالم الإسلامي، ويختم بذكر أشهر من توفي من الأعلام في تلك السنة، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب في الفصل الخامس ما يتعلق بحملات غازان، ودور ابن تيمية في جهاد المغول، خاصة أن ابن كثير كان من تلاميذ ابن تيمية، لذلك جمع من أخباره ومواقفه في نصرة الإسلام ما لا يكاد يوجد في كتاب آخر.

كتب التراجم:

وأهم كتب التراجم التي اعتمدت عليها الدراسة، كتاب" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لصاحبه ابن خلكان المتوفى سنة(681هـ/ 1282م)، قدم ابن خلكان في كتابه معلومات قيمة عن نشاطات الحكام الزنكيين والعلماء المعاصرين، فكانت معلوماته مادة أساسية في كثير من جزيئات الدراسة، وكتاب "العبر" و " سير أعلام النبلاء" و "تاريخ الإسلام" للذهبي المتوفى سنة 673هـ/ 1347م)، وكتاب "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن عماد الحنبلي المتوفى سنة (1089هـ/ 1678م)، وتمت الإفادة من كل أجزاء الكتاب، و"طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي المتوفى(771هـ/ 1369م)، وكتاب "الوافي بالوفيات" لابن الصفدي المتوفى(764هـ/ 1363م).

كتب الجغرافية والرحلات:

إضافة إلى ما سبق فإن كتب الرحلة لا تقل أهمية عن غيرها من الكتب وتعتبر من أوثق المصادر التاريخية لأن أصحابها دونوا ما شاهدوه بدقة من حيث المكان والزمان مثل كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي المتوفى (626هـ/ 1228م)، يعتبر بمثابة موسوعة جغرافية، نظراً لوفرة المادة التي أوردها إذ تحدث عن البلدان والأقاليم والجبار والأنهار، وهو مرتب وفق الحروف الأبجدية.

ومن المصادر التي استفاد منها الباحث في الفصل الأول من الدراسة والذي تناول جغرافية الجزيرة الفراتية، كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي (ت 387هـ/ 997م)، وكتاب "المسالك والممالك" للإصطخري (ت 346هـ/ 957م)، و"صورة الأرض" لابن حوقل (ت 367هـ/ 977م)، "تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" المعروف برحلة ابن جبير المتوفى سنة (614هـ/ 1217م)، سجل فيه كل ما شاهده في بلاد المشرق الإسلامي، من خلال زيارته لتلك البلاد.

كتب ومصادر أخرى:

بالإضافة إلى المصادر التي ذكرناها فقد استفاد الباحث خلال دراسته من عدد مصادر أخرى، ومن بينها كتاب "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة" لصاحبه عز الدين بن شداد المتوفى سنة(684هـ/ 1285م)، و"المختصر في أخبار البشر" لأبي الفداء المتوفى(732هـ/ 1331م)، وكتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري المتوفى(732هـ/ 1331م)، و"تاريخ مختصر الدول" لابن العبري المتوفى(685هـ/ 1286م)، كما استفادت الدراسة من كتاب "الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي الدمشقي المتوفى(927هـ/ 1521م) الذي رسم لنا صورة واضحة للحياة العلمية المزدهرة في بلاد الشام كما ترجم لكثير من العلماء في ذلك العهد.

اعتمد الباحث أيضا على مجموعة كبيرة من المراجع العربية والرسائل العلمية التي تخص البحث.

الفصل الأول

أوضاع المشرق الإسلامي والجزيرة الفراتية قبيل الغزو الصليبي للمشرق

1.1.الأوضاع العامة في المشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية:

شهد المشرق الإسلامي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، حملة خطيرة تركت آثارا عميقة المدى في مسيرة التاريخ الإنساني وهذه الحملة هي التي أطلق عليها المؤرخون اسم الحروب الصليبية وهي حملة كبرى نبعت من الغرب الأوروبي المسيحي في العصور الوسطى من واقع الخطبة التي ألقاها البابا أوربان الثاني ودعا فيها إلى إطلاق الحملة الصليبية، واتخذت من الدين ستارا لكي تخفي مطامعها الاستعمارية في المشرق الإسلامي وهذه الحملة تطورت كالكائن الحي على مدى القرون، وعند التأمل في أحوال المسلمين السياسية في المشرق الإسلامي عشية وصول الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وما كان عليه المسلمون من ضعف وانقسام إذ كانت الخلافة العباسية قد فقدت هيبتها منذ أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي فقد دب فيها الضعف والانحلال وكان الخلفاء العباسيون بأيدي العناصر التركية التي غدت صاحبة السلطة الفعلية وكذلك كثرت البدع وظهرت فرق كثيرة كالإسماعيلية والزنادقة كما ظهر عدد من الدويلات المستقلة في تلك الفترة.[1]

وإذا انتقلنا إلى بلاد الشام فقد كانت تعاني من الاضطراب والفوضى حيث تركز الحمدانيون أصحاب النفوذ في أرض الجزيرة واتخذوا من الموصل قاعدة لهم وزاد من الفوضى التي تعرضت لها بلاد الشام الدور الذي لعبته القبائل العربية الموجودة في ذلك الوقت ومحاولتهم

---

1 محمود محمد الحوبرى، *بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبين*، ط1،(القاهرة: دار المعارف، 1992م)، 10-11.

الاستقلال عن الخلافة العباسية فظهرت عدة قبائل سيطرت كل واحدة منهم على قسم وهكذا لم يعد البيزنطيون يواجهون على حدودهم في الشرق دولة إسلامية موحدة.[2]

كما تسببت الأحداث التي طرأت على الدولة الفاطمية منذ أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في إضعافها وتنافس رجال الدولة على منصب الوزارة مما أدى إلى سوء حالة مصر ومهد للقضاء على الخلافة الفاطمية.[3]

وفي الوقت الذي تنافست في المشرق الإسلامي قوى مختلفة وتفشت فيه ظاهرة توزع الولاءات السياسية بين الطوائف الشيعية متمثلة بالخلافة الفاطمية في مصر وأخرى سنية هي الخلافة العباسية في بغداد ظهرت قوة جديدة هي قوة الأتراك السلاجقة على مسرح الأحداث السياسية في المرحلة التي سبقت وصول الصليبين إلى بلاد الشام، حيث ينحدر السلاجقة من قبيلة "قنق" الغزية التركية، وينسبون إلى جدهم سلجوق بن دقاق واعتنقوا الدين الإسلامي على المذهب السني وتمكنوا من التوسع بعد أن استقلوا عن الغزنويين واستطاعوا أن يستقلوا في إقليم خراسان تحت قيادة طغرل بك في سنة 428هـ/1037م[4]، وأخذوا بالتوسع على حساب القوى الإسلامية وأيضا على حساب الدولة البيزنطية التي كانت قد دخلت في ذلك الوقت في طور من أطوار ضعفها، ودخلوا إلى بغداد واستطاعوا أن يوحدوا أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي تحت سيطرتهم، وحدثت سنة 463هـ/1071م معركة كبرى بين السلاجقة والدولة البيزنطية هي معركة ملاذ كرد وهي من أقوى المعارك في تاريخ المسلمين حيث استطاع

---

2 الحوبرى، *بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبين*،10-11؛ أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب ابن مسكويه، *تجارب الأمم وتعاقب الهمم*، تح: سيد كسروي حسن، ط1،(لبنان: دار الكتب العلمية، 2002م)،2/ 317.

3 محمد العروسي المطوي، *الحروب الصليبية في المشرق والمغرب*،(تونس: دار الغرب الإسلامي، 1982م)، 15.

4 شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي أبي شامة ، *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، علق عليه: إبراهيم شمس الدين، ط1, (لبنان: دار الكتب العلمية, 2002م)، 20 ؛ أبي عبد الله محمد بن محمد حامد عماد الدين الأصفهاني، *حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس " الفتح القسى في الفتح القدسى"*،(دار المنار، د.م، د.ت)، 9.

السلاجقة بقيادة ألب أرسلان بجيش تعداده عشرون ألفا فقط أن يهزموا جيش الدولة البيزنطية المكون من أكثر من مائتي ألف جندي، وهكذا انهارت الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى.[5]

ويبدو أن هذا الأمر كان من الأمور التي مهدت للحروب الصليبية بعد 25 سنة من معركة ملاذ كرد، وهكذا نرى أنه إذا نظرنا إلى حال الأمة الإسلامية ندرك أنها سوف تقع في أزمة كبيرة.

أما بالنسبة إلى الإمارات والدويلات الموجودة في تلك الفترة فقد حدث صراع بين السلاجقة الذين كانوا يعيشون في منطقة الأناضول بقيادة سليمان بن قتلمش وبين السلاجقة الذين يعيشون في الشام بقيادة تتش بن ألب أرسلان ونتج عن هذا الصراع مقتل سليمان بن قتلمش وكان أقوى ملوك سلاجقة الروم، فترك فراغا سياسيا كبيرا في آسيا الصغرى وخاصة أنه ترك ابنه الصغير على ولاية عهده، مما أدى إلى تفكك منطقة آسيا الصغرى إلى عدة دويلات منفصلة ومتناحرة فتوزع ملك السلاجقة في نهاية القرن الخامس الهجري وهذا كان حال المنطقة في تلك الفترة فانتهز الصليبيون هذا التوقيت لغزو العالم الإسلامي.

فأصبح ملك السلاجقة موزعاً على هذه الصورة:

أولاً: دولة السلاجقة الكبرى خلفها ملكشاه الأول وكانت تحكم أقاليم واسعة أهمها إيران والعراق ولها السيطرة على الخلافة العباسية.

ثانياً: سلاجقة كرمان تحكم جنوب إيران وباكستان.

ثالثاً: سلاجقة الشام بيت تتش بن ألب أرسلان وكانوا منقسمين عدة انقسامات وفتتوا الشام إلى عدة إمارات.

رابعاً: سلاجقة عراق العجم يحكمون شمال العراق.

---

5 أبي شامة، *الروضتين*، 22؛ محمد سهيل طقوش، *تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام*، ط2, (لبنان: دار النفائس, 200م), 21.

خامساً: سلاجقة الروم بآسيا الصغرى حاكمها سليمان بن قتلمش الذي قتل سنة 478هـ/ 1086م وبسبب هذه الصراعات المتتالية مهد لدخول الجيوش الصليبية إلى أرض المسلمين.[6]

أما عن حال المجتمع الأوروبي الغربي في هذه الفترة فقد كانت تسوده المنازعات والحروب المحلية بين الأمراء الإقطاعيين مما زاد من سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي[7], وكان للبابا والإمبراطور أثر كبير في مجريات الأحداث الأوروبية فقد بلغت البابوية درجة عظيمة من القوة واتساع النفوذ في هذه الفترة مما فتح أمامها المجال لكي تصبح القوة العالمية، بجانب الخلافات المستمرة الموجودة بين الكنيستين الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية الغربية إذ طمحت كل منهما على أن تسود وجهة نظرها وأن تكون لها الأولوية على الأخرى ولهذا السبب عندما عرضت فكرة الحرب المقدسة على البابا أوربان الثاني(471- 491هـ/ 1078- 1097م) وجد في تنفيذها فرصة كبيرة لإنهاء الخلاف بين الكنيستين والسيطرة على الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية وضمها للكنيسة الغربية تحت زعامته، على أن يتم ذلك كله تحت ستار محاربة المسلمين وحماية البيزنطيين[8].

وإذا كان هذا هو حال الغرب عندما كان يعد نفسه لخروج الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق، فلم يكن المسلمون في المشرق الإسلامي في هذه الفترة أحسن حالا، بل كانت أحوالهم تسوء يوما تلو يوم فقد كانوا يعانون من الضعف والتفكك والانحلال الناجم عن سوء الحالة السياسية[9].

---

6 ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، راجعه: محمد يوسف الدقاق، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م، مج8)، 443؛ راغب السرجاني، *قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي*، ط1، (مؤسسة أقرأ، القاهرة 2008م)، 31- 32.

7 مصطفى وهبه، موجز *تاريخ الحروب الصليبية*، ط1، (المنصورة: مكتبة الإيمان، 1997م)، 9.

8 آسيا سليمان نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية*، ط1، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2002م)، 31.

9 نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى*، 31.

وخلاصة القول إن الضعف الذي حل بمنطقة المشرق الإسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري كان له الأثر الأكبر للغرب الأوروبي وهيأه للإعداد للخروج لحملة صليبية كبيرة موجهة ضد المسلمين للاستيلاء على الجزء الأكبر من ممتلكاتهم وجعلها مملكة لاتينية تخدم مصالحهم.

1.1.1.أوضاع الجزيرة الفراتية السياسية والاجتماعية والفكرية في القرن السادس الهجري:

شهد إقليم الجزيرة الفراتية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، عدة تغيرات شملت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، فمن الناحية السياسية: سيطرت السلاجقة على معظم المشرق الإسلامي وأقاموا فيها عددا من الإمارات الخاضعة لسيطرتهم عرفت بالأتابكيات[10]، وقامت إلى جانب الأتابكيات في الجزيرة الإمارات الأرتقية في الأجزاء الشمالية، بينما قامت الزنكية في الأجزاء الجنوبية منها، ولكن الصراع الداخلي على السلطة بين هذه القوى أدى إلى ضعفهم، مما أتاح الفرصة للعباسيين لاسترداد بعض نفوذهم[11]، وكان وصول الصليبيين في أواخر القرن الخامس الهجري، نذيرا بظهور عدو جديد هم الصليبيون، الذين غزوا المنطقة وأقاموا لهم أول إمارة صليبية في الرها سنة(494هـ/ 1098م).

---

10 أبي شامة، *الروضتين*، 22 ؛ عبدالله بن ناصر بن سليمان الحارثي، *الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد*، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، ط1،(بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007م)، 51؛ بنيامين بن يونه النباري التطيلي، *رحلة بنيامين التطيلي*، تر: عزرا حداد، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2002م)، ، 65.

11 أبي شامة ، *الروضتين*, 23؛ حسن إبراهيم حسن، *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*، ط14، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1996م، ج4)، 63؛ استانلي لين بول، *طبقات سلاطين الإسلام*، تر: عباس اقبال، تح: علي البصرى، (دار المنشورات البصرى، د.م، 1968م)، 142.

وفي النصف الثاني من القرن السادس الهجري شهدت الجزيرة صراعاً جديداً، كان بين الزنكيين والأراتقة من جهة، وبين الأيوبيين من جهة ثانية، حيث استولى الأيوبيون على أغلب بلاد الجزيرة الفراتية.[12]

ويعود الفضل في تأسيس إمارة الموصل إلى عماد الدين زنكي بن آق سنقر بعد تعيينه أميرا على الموصل والجزيرة من قبل السلطان السلجوقي، وتمكن بعد فترة قصيرة من حكمه أن يوسع رقعة إمارته والتي أصبح بمقدورها مواجهة التحديات الصليبية التي تزايدت في تلك الفترة[13]، ففي 495هـ/ 1101م استولى سقمان بن أرتق الذي ينتمي إليه الأراتقة على مدينة حصن كيفا واتخذها قاعدة لإمارته، وفي 496هـ/ 1102م استولى إيلغازي الأرتقي على ماردين[14]

وشهدت منطقة الجزيرة الفراتية سنة 539هـ/1144م تحركات عسكرية واسعة النطاق قام بها عماد الدين زنكي ضد إمارة حصن كيفا الأرتقية وذلك بعد وفاة داود بن سقمان حيث قام عماد الدين زنكي بمهاجمة ميافارقين والاستيلاء على قلعتي جور والسيوان وأدى ذلك إلى زيادة خلافاته مع حسام الدين تمرتاش حاكم ماردين.

وعمل عماد الدين زنكي على إبقاء العلاقات الطيبة مع سكمان القطبي صاحب أرمينية واستعداده للدفاع عنها في حالة تعرضها لخطر ما[15]، وعن علاقات أتابكية الموصل مع إمارة

---

12 الحارثي، *الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة*، 52.

13 علاء محمود قداوي، *الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية*، ط1، (الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2015م)، 23؛ غانم شيخان جويعد الشمري، *عماد الدين زنكي فاتح الرها*، ط1، (الكويت: دار الظاهرية للنشر والتوزيع، 2017م)، 35.

14 سوادي عبد محمد، *الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي*، ط1، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1989م)، 47-48.

15عماد الدين خليل، *الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام*، ط1،(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1980م ، 128.

بدليس وهي إحدى إمارات مدن بلاد الجزيرة فقد كان عماد الدين زنكي يتدخل في شؤونها وفرض الأموال على حسام الدين بن دلماج مقابل حمايته لإمارته من أطماع الآخرين.

وفي النصف الثاني من القرن السابع الهجري، تعرضت بلاد الجزيرة كغيرها من بلاد المشرق الإسلامي لنكبة أخرى متمثلة بالغزو المغولي الذي اجتاح بلاد فارس، ثم العراق، وبلاد الجزيرة حتى دخلوا بلاد الشام.[16]

أما من الناحية الاجتماعية: فقد حفل إقليم الجزيرة خلال هذين القرنين بعديد من الديانات، والأجناس، والمذاهب، إضافة إلى القبائل العربية التي استقرت فيها منذ ما قبل الإسلام والقبائل التي نزحت إليها بعد الفتح الإسلامي[17]، استقر فيها أعداد كبيرة من السريان والأرمن وأقاموا عدة إمارات فيها، أما بالنسبة للأديان والمذاهب بالإضافة إلى المسلمين فيوجد عدد كبير من الطوائف النصرانية كاليعاقبة والنساطرة واليهود وغيرهم من الطوائف.

وإذا نظرنا إلى النشاط الاقتصادي في بلاد الجزيرة فإنا نلاحظ ازدهارا في الحياة الاقتصادية، أدى إلى ازدهار في الحركة العمرانية واتساع في الرقعة الزراعية وتنوع في المحاصيل الزراعية، فعم الرخاء في البلدة[18]، وتطورت الإمكانيات الزراعية في مدن الجزيرة وكثر نتاجها من الثمار والقطن، لعب كل ذلك مع حاجتها إلى بعض المصنوعات والأطعمة دوراً مهماً في تنشيط حركة التجارة فيها تصديراً واستيراداً وساعد على نشوء عدد كبير من الأسواق كان يقصدها تجار الجملة من شتى الجهات، وكان لوقوع عدد من مدن الجزيرة الفراتية كنصيبين ودنيسر وغيرها من المدن على الطرق التجارية لشمالي العراق وأرمينية وبلاد فارس والشام دور كبير في انتعاش التجارة، وكان الازدهار الاقتصادي مصحوبا بنشاط في مجالي الصناعة والفنون، ووجدت صناعة المنسوجات القطنية والحريرية، فاشتهرت الجزيرة بمنسوجاتها إذ كانت تصنع الثياب من صوف الماعز وتصنع الأبراد والنصافي

16 حافظ أحمد حمدي، *الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي*، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1950م)، (المقدمة).

17 الحارثي، *الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية*، 53.

18 الحارثي، *الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية*، 53.

والبطاين[19]، واشتهرت بصناعة أقداح الشرب لكثرة المواد المعدنية الخام كما أدى توفر النحاس إلى ازدهار صناعة الأواني النحاسية الفاخرة التي يصنعها الصفارون[20]وكانت تصدر جواهر الزجاج المتوفر في ماردين كما كان الطلب شديداً على الحجارة السوداء المتوفرة في آمد، وكذلك تصدر الفحم والحطب لكثرة توافرها في المنطقة، ومواد زراعية كالقطن والكتان والزعفران فضلاً عن أصواف الغنم والمنسوجات(الملابس والشراشف....الخ)، كذلك تقدمت الفنون الهندسية فأنشئت مساجد، ومدارس جميلة مزخرفة وقصور فخمة، واهتموا ببناء المدارس وأنفقوا عليها مبالغ كبيرة وأشهر هذه المدارس المدرسة الزجاجية التي بناها بدر الدولة سليمان بن أرتق في حلب سنة 516هـ/ 1122م، واهتموا ببناء المساجد وتجديدها، ورافق هذا النشاط عمليات إنشاء وإصلاح عمراني واسعة لعدد كبير من الأديرة خلال العهد الأرتقي ومن أشهر الأديرة دير مار اسطفانس شمالي ماردين، ودير مار جرجس إلى جانب سور ماردين وغيرهم الكثير، وأسهمت المؤسسات الكنسية في العهد الأرتقي بنصيب وافر في الحركة الثقافية، فقد ألف رجال الدين المسيحيون الكتب وأنشأوا المكتبات والمعاهد الدينية في أماكن في ديار بكر وضمت هذه المكتبات الكتب المقدسة وكتب الدين والفلسفة والمنطق إضافة إلى الكتب الأدبية والتاريخية فكانت مكتبة دير الزعفران تضم عدداً كبيراً من الكتب، وبالرغم من ظهور عدد من الطوائف بين المسلمين في عهد الأراتقة كالسنة والشيعة والباطنية إلا أن التزام الأراتقة بالمذهب السني قلل إلى حد كبير من أهمية الطوائف الأخرى وأدى إلى القضاء على بعضها، وقاموا بإنشاء عدد من المدارس خصص معظمها لتدريس المذاهب الثلاثة فضلاً عن الحنفية، وبخاصة الشافعية وربما كان ذلك بسبب اعتناق رعاياهم لهذه المذاهب[21].

---

19 خليل، *الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام*، 447- 453؛ أحمد مختار العبادى، في التاريخ الأيوبي والمملوكي،(الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة،1992م)، 112.

20 كي لسترنج، *بلدان الخلافة الشرقية (العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسية الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور)*، تر: بشير فرنسيس، (إيطالية: عواد، مؤسسة الرسالة، 1905م)، ، 146.

21 خليل، *الإمارات الأرتقية*، 465-492؛ الحارثي، *الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية*، 54.

أما من الجانب الفكري: تميزت بلاد الجزيرة بكثرة علمائها، ومفكريها، وغدت في عهد الأراتقة مدرسة كبيرة خرجت واستقبلت عدداً من العلماء والمفكرين في شتى المجالات وتولى المناصب في الدولة وقصدهم عدد كبير من العلماء والأدباء والأطباء[22] وعلى رأسهم أسامة بن منقذ أحد أمراء شيزر الذي بقي عشرة أعوام في بلاط الأراتقة في حصن كيفا عكف فيها على الكتابة والتأليف[23]، وصفي الدين الحلي الشاعر المشهور، وجمال الدين السنجاري درس في تبريز وقدم إلى ماردين فولاه حاكمها الوزارة، وشهاب الدين السهروردي المتصوف المشهور الذي قضى فترة مهمة من حياته في ديار بكر، وزين الدين بن سريحا الملطي كان من أعيان ملطة في الفقه والأدب، وزار إقليم الجزيرة عدد من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين منهم ابن جبير (ت 614هـ=1217م)، وابن بطوطة(ت 799هـ= 1377م) وابن حوقل الذي زار المنطقة في منتصف القرن السادس الهجري، وبنيامين التطيلي وغيرهم، فلم يقف الأمر عند حد استقبال لكبار العلماء والأدباء وإنما قامت بتخريج عدد كبير منهم عم نشاطهم العلمي والأدبي مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وأسهموا في تنشيط الحركة الثقافية ووكلت إليهم كُبرى المناصب القضائية والإدارية، ومن هؤلاء العلماء أسرة أبناء الأثير الجزري، وبهاء الدين بن شداد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والعالم أبو أحمد القاسم الإربلي، والقاضي كمال الدين الشهرزوري، والفقيه عيسى الهكاري وغيرهم كثيرون.[24]

وهكذا كان إقليم الجزيرة الفراتية ذا نشاط واسع وتعددت أوجه ذلك النشاط في الجوانب العلمية والاجتماعية والاقتصادية فضلا عن الفنون مما يستحق لفت الباحثين.

---

22 خليل، *الإمارات الأرتقية*، 501.

23 أسامة بن منقذ، *الأعتبار*، علق: عبد الكريم الأشتر، ط2، (بيروت: المكتب الإسلامي، 2003م)، 16.

24 خليل، *الإمارات الأرتقية*، 502-504؛ الحارثي، *الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية*، 54.

ومن خلال هذه الدراسة تبين أن هذه الفترة تمثل عصر ازدهار اقتصادي لمنطقة الجزيرة الفراتية وأما من الناحية السياسية فقد كانت من أشد الفترات حرجا في المشرق الإسلامي، حيث جحافل الصليبين تجوس ديار الجزيرة وبلاد الشام وتحاول التوسع على حساب الدول الإسلامية المجاورة لها.

الجزيرة الفراتية

2.1. التسمية والموقع الجغرافي لإقليم الجزيرة الفراتية:

سمي هذا الإقليم بالجزيرة الفراتية لوقوعه بين نهري دجلة والفرات[25]،التي تضم كل ما حوى النهران من مدن كالموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر ونصيبين ورأس العين وماردين وديار بكر وميافارقين والرقة والرها وغيرها من المدن[26].

والجزيرة هي التي بين نهري دجلة والفرات[27]، وقد سماها كل من المقدسي وياقوت الحموي باسم "جزيرة أقور" بالقاف، ويطلق عليها أيضاً ديار بكر ومضر وربيعة نسبة إلى القبائل العربية الشهيرة" بكر ومضر وربيعة" التي سكنت فيها قبل الإسلام فاشتهرت باسم القبائل التي سكنتها،[28] وأطلق عليها اليونان اسم "ميزوبوتاميا" أي بلاد ما بين النهرين،[29]

---

25 زكريا بن محمد بن محمود القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد* (بيروت: دار صادر، د.ت)،351؛ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، *المعارف*، تح: ثروت عكاشة، ط4،(القاهرة: دار المعارف، د.ت)، 566.

26 أبي العباس أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى*، (القاهرة: المطبعة الأميرية، 1914م، ج4)، 315.

27حسن شميساني، *مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة 1515م/ 921هـ* ، ط1، (بيروت: عالم الكتب، 1987م)، 14.

28المقدسي(البشاري)، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، ط3، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991م)، 137؛ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم *البلدان*،(بيروت: دار صادر، 1977م)، مج 2، 134؛ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري، *مسالك الممالك*،(ليدن: مطبع بريل، 1870)، 71.

29 عبد الحكيم الكعبي، *الجزيرة الفراتية وديارها العربية(ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر)*، (دمشق: دار صفحات للدراسات والنشر، 2009م)، 29.

وكان يحكمها الساسانيون[30]، وصفها ابن الحوقل بقوله: "والجزيرة إقليم جليل بنفسه، شريف بسكانه، وأهله رُفهٌ بخصبه، كثير

الجبايات لسلطانهِ، إذ كانت الأحوال والأموال والدخل على سلطانه داخلٌ من وجوهه وخارجٌ من مظانه"[31]

في حين قال المقدسي عن الإقليم:" إنه إقليم نفيس معدن الخليل العتاق، ومنه ميرة أكثر العراق، رخص الأسعار، جيد الثمار، ومعدن الأخبار"[32]، الجزيرة صحيحة الهواء وفيرة الماء واسعة الخيرات وفيها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة[33].

ونظراً لثروة إقليم الجزيرة واعتدال مناخه فقد ازدهر النشاط الحضاري فيه منذ أقدم العصور إضافة إلى الموقع الفريد الذي جعله معبر العديد من الهجرات والغزوات التي خرجت من جوف القارة الأسيوية فضلاً عن وقوعه على طريق التجار البري العالمي بين الشرق والغرب من ناحية أخرى، فبالإضافة إلى وجود القبائل العربية التي انتقلت إليه قبل الإسلام فقد استقر على أرضه أعداد كبيرة من الأرمن، وأعداد من اليهود والسريان كما نزحت إليه بعض قبائل التركمان والأكراد والأتراك[34].

يقول المقدسي عن موقع إقليم الجزيرة الفراتية:" هو واسطة بين العراق والشام ومنازل العرب في الإسلام"[35].

فإقليم الجزيرة الفراتية يمتاز بموقع مهم وفريد بين هضبة إيران وأقاليم آسيا الوسطى من ناحية وبين بلاد الشام وحوض البحر المتوسط من ناحية أخرى مما جعله معبر العديد من

---

30 لسترنج، *بلدان الخلافة الشرقية*، 114.

31 أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، *كتاب صورة الأرض*، ط2، (بيروت: دار صادر، 1928م)، ص209.

32 المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 136.

33 ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج2، 134.

34 الحارثي، *الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية*، 8.

35 المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 136.

الهجرات، والغزوات التي خرجت من جوف القارة الأسيوية ووقوعه على طريق التجارة البري العالمي بين الشرق والغرب من ناحية أخرى.

وهو غني بثرواته الطبيعة وموارده المائية الكثيرة ومناخه المعتدل فصار منطقة جذب سكاني استقرت عليها هجرات سكانية كثيرة وقامت على أرضه حضارات عريقة كالآشورية والكلدانية وغيرها،[36]وتم فتح إقليم الجزيرة على يد عياض بن غنم[37]، ففتح حران، والرها، والرقة، وقرقيسيا ونصيبين وسنجار[38]

1.2.1.مدن الجزيرة الفراتية وتاريخها:

سكنت الجزيرةَ ثلاثُ قبائل عربية هي بكر وربيعة ومضر، استقرت مضر في الغرب واستقرت ربيعة في الشرق واستقرت بكر في الشمال، وسكن الجزيرة من الأقوام غير العرب عناصر آرامية استوطنت في طور عبدين، وأخرى أرمنية سكنت إلى الشمال من نهر دجلة، وأخرى كردية سكنت في إقليم الموصل، وعرفت الجزيرة السيادتين البيزنطية والفارسية فخضعت الأطراف الغربية للسيادة البيزنطية و الشرقية للفارسية، وبعدما امتدت الفتوحات الإسلامية كانت بيزنطة تستولي على الإقليم الممتد من رأس العين إلى الفرات، وعندما تقدمت قوات الفتح الإسلامية ووصلت إلى الشام عزلت الحاميات البيزنطية بالاتصال بالإمبراطورية البيزنطية، ولما تقدمت قوات عياض بن غنم نحو الجزيرة لم تلق قواته مقاومة من البيزنطيين وتم فتح الجزء الغربي من الجزيرة سنة (17هـ/638م)[39].

---

36 الحارثي، *الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية*، 25.

37

38 أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، *فتوح البلدان*، علق عليه: شوقي أبو خليل، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1997م)، 278؛ قدامة بن جعفر، *الخراج وصناعة الكتابة*، تح: محمد حسين الزبيدي،(بغداد: دار الرشيد للنشر، 1981م)، 312.

39 عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد، *الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة*، تح: يحيى عبارة، (دمشق: إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، 1978م)،3/ 40- 41.

وقيل أن الصحابي عياض بن غنم الفهري عندما فتح بلدا أتى الموصل ففتح أحد الحصنين، وبعث عتبة بن قرقد السلمي ليفتح الحصن الآخر ففتحه، والواقع أن إقليم الجزيرة الفراتية قد شهد في القرنين السادس والسابع للهجرة نشاطاً حضارياً واسعاً، وتعددت أوجه هذا النشاط في الجوانب العلمية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية[40].

ومن أهم مدنها:

ينقسم إقليم الجزيرة إلى ثلاث مناطق: ديار ربيعة، ديار مضر، ديار بكر.

ديار ربيعة: قصبتها الموصل، ومن مدنها: الحديثة، بلد، سنجار، أذرمة، برقعيد، نصيبين، دارا[41]، رأس العين، كفرتوثا، جزيرة ابن عمر، اللحسنة، تلعفر، دنيسر، الخابور كله، وما بين ذلك من المدن والقرى.

ديار مضر: قصبتها مدينة حران، تشمل الرقة، الرها، شمشاط، تل موزن، سروج، كفرزاب، ترعوز، وغيرها من المدن.

ديار بكر: قصبتها مدينة آمد، ومن مدنها: حصن كيفا، تل فافان، الغار، ميافارقين، حاذية، وغيرها[42].

مدينة حران:

مدينة قديمة تقع جنوب شرق تركيا[43]، وهي مدينة مشهورة، بينها وبين الرها مسيرة يوم وبين الرقة يومان، وفتحت في أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم[44]، ولها سور متين

---

40 الحارثي، *الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية*، 9.

41 ابن شداد، *الأعلاق الخطيرة*،3/ 5.

42 المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 137؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج2/494.

43 لويس معلوف، *المنجد في اللغة والأعلام*، ط 29،(بيروت: دار المشرق، 2008م)، 211.

44 ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج 2، 235.

حصين مبني من الحجارة المنحوتة المرصوص بعضها على بعض وبها قلعة حصينة، وللمدينة نُهير مجراه بالجهة الشرقية.[45]

ويقال إنها بنيت بعد الطوفان بمائتين وخمس وسبعين سنة وأنه بناها ملكها هاران فعربتها العرب وقالوا حران[46].

للمدينة سبعة أبواب، باب الرقة وهو مسدود والباب الكبير وباب البيار وباب الفدان والباب الصغير وباب يزيد وباب السر، وبها أربع مدارس كلها حنبلية وفيها خانقات وبيمارستان ومزارات منها مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام، ينتسب إليها عدد كبير من العلماء نذكر منهم شرف الدين ابن تيمية وأخوه الشيخ تقي الدين وغيرهم كثيرون[47]

مدينة الرها:

هي مدينة متوسطة الكبر، تقع بين الموصل والشام، وبها بساتين وأشجار كثيرة، وعليها سورة من حجارة، ولها أربعة أبواب هي باب سبع، وباب الماء، والباب الكبير وباب حران[48].

وكان يسميها العرب باسم الرها، ويطلق عليها غيرهم اسم "رهاوي" وهي مأخوذ من اسمها القديم "ارهوي" وسماها اليونانيون باسم" اذيسا" أعاد الإمبراطور الروماني جوستنيان عمارتها سنة 545م وسماها " جستنيابولس" وتذكر بعض التواريخ القديمة أن النبي إبراهيم الخليل عليه السلام قد هاجر من أور الكلدان في العراق إلى أورفا وشيد المسلمون فيها مسجداً باسم مسجد إبراهيم الخليل وكان يحيط بها سور، وهي الآن من الأراضي التركية وسكانها خليط من المسلمين والنصارى[49]، اشتهرت مدينة الرها بكثرة كنائسها لأن أغلب سكانها نصارى

---

45 أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير، *رحلة ابن جبير*، (بيروت: دار صادر، د.ت)، 221.

46 ابن شداد، *الأعلاق الخطيرة*،3/ 43.

47 ابن شداد، *الأعلاق الخطيرة*،3/ 41-42.

48 القلقشندي، *صبح الأعشى*، 4/ 139.

49 جيمس بكنغهام، *رحلتي إلى العراق سنة 1816*، تر: سليم طه التكريتي، (بغداد: مطبعة أسعد، 1968م) ،1/ 27.

من الأرمن، وفيها أكثر من ثلاثمائة كنيسة ودير[50]، وبها كنيسة مكسوة بالفسيفساء تعد من إحدى عجائب الدنيا[51]، وبني المسجد الأقصى على غرارها، وزاد على ذلك أنها كانت مدينة محصنة، وفي الحملة الصليبية الأولى سنة(492هـ/ 1098م) استولى عليها بلدوين وأسس فيها أول إمارة صليبية دامت نصف قرن، ثم فتحها عماد الدين زنكي في سنة(539هـ/ 1144م) بعد انتزاعها من ملكها جوسلين الثاني، ومنذ ذلك الزمن صارت الرها بأيدي المسلمين[52].

مدينة الرقة:

تقع في شمال سورية على الفرات[53]، وهي مدينة مشهورة، ووقوعها على الفرات وقربها من الشام جعل لها مكانة خاصة[54]، أسسها السلوقيون، واتخذها الخليفة هارون الرشيد عاصمة له وبني فيها قصر السلام فعرفت بمدينة الرشيد[55]، كثيرة القرى والبساتين، لها جامع عجيب وحمامات طيبة[56].

مدينة رأس العين:

مدينة سورية على الخابور قرب حدود تركيا تسميها العامة "رأس العين" ،[57]وهي مدينة كبيرة مشهورة تقع بين حران ونصيبين، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا[58]، وفيها الكثير من العيون وهي أكثر من ثلاثمائة عين ماء جارية، وضع عليها شباك من حديد تجـــتمع

---

50 ابن شداد، *الأعلاق الخطيرة*،3/ 85.

51 المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 141.

52 لسترنج، *بلدان الخلافة الشرقية*، 135.

53 معلوف، *المنجد في اللغة والأعلام*، 264.

54 الأصطخري، *مسالك الممالك*، 74؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج3، 59.

55 معلوف، *المنجد في اللغة والأعلام*، 264.

56 المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 141.

57 معلوف، *المنجد في اللغة والأعلام*، 258.

58 ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج3، 14.

هذه المياه لتصبح نهراً واحداً يسمى نهر الخابور،[59]ووصفها ابن حوقل بأنها مدينة ذات سور من حجارة وداخل السور بساتين وطواحين ومزارع[60].

مدينة نصيبين:

هي من المدن القديمة وتقع على نهر جغجغ أحد روافد نهر الخابور وهي اليوم ضمن الأراضي التركية،[61]وهي مدينة عامرة كثيرة الأنهار والبساتين والأشجار المنتظمة والجنات،[62]ولها نهر عظيم يقال له "الهرماس" عليه قناطر حجارة قديمة رومية[63]، وبينها وبين الموصل ستة أيام، وبين دنيسر عشرة فراسخ،[64] وفيها دير عظيم وحولها دور للنصارى[65]، وبها عقارب كبيرة الحجم قاتلة موصوفة مشهورة، وهي مدينة مكتملة المرافق، ومن مرافقها مدارس وجامعة وبيمارستان وأسواقها مكتظمة بالبضائع[66].

مدينة سنجار:

مدينة عراقية بسفح سنجار قرب الحدود السورية، [67]وهي مدينة مشهورة في ديار ربيعة، تقع في أسفل جبل عال، ويقال إن سفينة نوح عليه السلام نطحته فقال نوح: هذا سن جبل جار علينا، فسميت سنجار، ويقال إنما سميت سنجار نسبة لبانيها، وهم بنو البلندي ابن مالك بن الذعر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام[68]، يوجد فيها بساتين وأشجار النخيل وليس

---

59 لسترنج، *بلدان الخلافة الشرقية*، 125؛ ابن شداد، *الأعلاق الخطيرة*،3/ 145.

60 ابن حوقل، *صورة الأرض*، 221.

61 بكنغهام، *رحلتي إلى العراق*، 1/ 33.

62 القزويني، *آثار البلاد*، 467.

63 القلقشندي، *صبح الأعشى*، 4/ 322.

64 ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج5، 288.

65 ابن حوقل: *صورة الأرض*، ص 211.

66 الأصطخري، *مسالك الممالك*، 73 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، 214.

67 معلوف، *المنجد في اللغة والأعلام*،310.

68 أبي الحسن علي بن أبي بكر الهروى، *الإشارات إلى معرفة الزيارات*، تح: علي عمر، ط1،(القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م)،60؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج3، 262.

بالجزيرة بلد به أشجار النخيل سوى سنجار كما تكثر فيها أشجار الفاكهة[69]، تشبه دمشق في كثرة أنهارها.[70]**مدينة حصن كيفا:**

تقع حالياً ضمن الأراضي التركية[71]، وهي مدينة في ديار بكر تطل على نهر دجلة، فيها قلعة حصينة وكنائس كثيرة[72]، سماها الروم كيفس أو كيفي، وتحتها ربض عامر فيه الفنادق والأسواق والمساكن وبناؤهم بالحجر والجص، وهي وخمة الهواء في الصيف.[73]

مدينة ماردين:

تقع ضمن الأراضي التركية بين أورفا وديار بكر يحيط بها سور[74]، وهي مدينة حصينة مبنية على ارتفاع فرسخين من سطح الأرض، ومعنى كلمة ماردين على لفظ جمع مارد وهو كل شيء تمرد، ولفظ ماردين في اللغة السريانية بمعنى الحصن أي بمعنى بلد الحصون لوجود العديد من القلاع حولها، وتلفظ ماردين عند أهل المنطقة بميردين[75]، وقلعة ماردين في المئة الرابعة كان يقال لها الباز وهذه القلعة على قمة جبل لا يوجد قلعة أحكم ولا أعظم منها[76] وتعد من مشاهير القلاع[77]، ونشأ على جانبها الجنوبي ربض عظيم وقامت فيه أسواق وخانات ومدارس، ودورهم كالدرج كل دار فوق أخرى، وكل درب منها مشرف على ما تحته[78].

---

69 الأصطخري، *مسالك الممالك*، 73.

70 ابن بطوطة، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، تح: محمد عبد المنعم العريان، ط1، (بيروت: دار إحياء العلوم، 1987م، ج1)، 246.

71 بكنغهام، *رحلتي إلى العراق*، 1/ 81.

72 المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 141.

73لسترنج، *بلدان الخلافة الشرقية*، 145.

74 بكنغهام، *رحلتي إلى العراق*، 1/ 28.

75 حسين علي، *تاريخ مدينة ماردين من الفتح الإسلامي حتى العصر العثماني*، (الحياة، د.ت، د.م)، 31.

76 لسترنج، *بلدان الخلافة الشرقية*، 125؛ ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، 215؛ ابن سعيد المغربي، *بسط الأرض في الطول والعرض*، تح: خوان قرنيط خينيس،(تطوان: مطبعة كريماديس، 1958م)، 90.

77 ابن بطوطة، *تحفة النظار*، 247.

78 القزويني، *آثار البلاد*، 260.

مدينة آمد:

تقع ضمن الأراضي التركية، وهي التي تعرف اليوم بديار بكر[79]، تطل على نهر دجلة، يحيط بها سور أسود من حجارة الأرحية[80]ويسمى هذا السور ميمونا لشدة سواده، وعلو هذا السور عشرون ذراعا وثخنه عشر أذرع وأكثر أبنيتها من هذه الحجارة[81]، وسميت بأسماء عديدة، آميدي أو آمدي، وذكرت في المصادر السريانية باسم آمد أو أوميد، لكن الأصح آمد وهكذا ضبطها العرب[82]، وللمدينة خمسة أبواب: باب دجلة وباب الروم وباب الجبل وباب التل وباب أنس وهو باب صغير يحتاج إليه وقت الحرب[83]، ومسجدها الجامع مسجد جميل مبني من الحجر الأسود كسائر المدينة، وجميع سقوف المسجد من الخشب المحفور،[84]وبالقرب من الجامع كنيسة عظيمة كلها من الحجر وفرشت أرضها بالرخام المنقوش[85].

مدينة ميافارقين:

تبعد حوالي سبعين كيلومترا شمالي ديار بكر وتعرف الآن باسم " سِلوان" وهي الآن تابعة لتركيا،[86]وهي مدينة جليلة من أشهر مدن ديار بكر[87]، عليها سور عظيم من الحجر الأبيض، وفيها خندق عميق، مصطكة العمارة، مزدحمة المباني وأسواقها ضيقة وبها مسجد جامع وحمامات، وفيها أشجار وبساتين وهواؤها وخيم ربما كان سببه ازدحام مبانيها وضيق

79 بكنغهام، *رحلتي إلى العراق*، 1/ 31.

80 الأصطخري، *مسالك الممالك*، 75.

81 ابن حوقل، *صورة الأرض*، 222.

82 برهان حنا إيليا، *آمد مدينة الفخر من نشأتها إلى عام 1924م*، ط1، (حلب: مطبعة الإحسان، 2008م)، 3.

83 المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 140؛ ابن شداد، *الأعلاق الخطيرة*، 3/ 254.

84 لسترنج، *بلدان الخلافة الشرقية*، 141.

85 ناصر خسرو علوي، *سفر نامة*، تر: يحيى الخشاب، ط2، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م)، 54.

86 بكنغهام، *رحلتي إلى العراق*، 1/ 81.

87 القزويني، *آثار البلاد*، 565.

أسواقها،[88]ومعنى اسم ميافارقين (ميا) اسم الأودية (وفارقين) اسم امرأة بنتها فكأنهم يقولون "أودية فارقين"[89].

مدينة الموصل:

ثاني أكبر مدينة في العراق بعد بغداد، وأصبحت أهم مراكز انطلاق الفتوحات الإسلامية بعد استقرار القبائل العربية فيها أيام الدولة الأموية، ويشكل العرب السنة أغلب سكان المدينة كما ينتشر بها الأكراد بالإضافة إلى التركمان والعرب والشيعة،[90]وتقع على غربي دجلة،[91]رفيعة البناء واسعة الأرجاء، حصينة فخمة، ولها سور محكم البناء وخندق عميق وحولها بساتين[92]، وعرفت قلعتها بالحدباء عظيمة الشأن شهيرة الامتناع[93]، وسميت بالموصل لأنها وصلت بين دجلة والفرات[94]، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، وقيل بل الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل[95]. للمدينة ربض كبير فيه الجوامع والخانات والحمامات والأسواق وبني فيها سوق للتجار تنغلق عليها أبواب من حديد، ولها جامعان أحدهما جديد والآخر من عهد بني أمية، بنيت قبتها من رخام قد خُلخل بخمسة خلاخل، وبها مدارس كأنها القصور المشرفة ولها مارستان[96]، وهي مدينة صحيحة الهواء، قديمة الرسم كثيرة الملوك والمشايخ، ينتسب إليها جمال الدين الموصلي، والشيخ كمال الدين بن يونس، والقاضي كمال الدين الشهرزوري، وبهاء الدين بن شداد، وشرف الدين ابن عصرون وغيرهم كثيرون[97].

---

88 ابن حوقل، *صورة الأرض*، 224؛ خسرو، *سفر نامة*، 51.

89 ابن شداد، *الأعلاق الخطيرة*، 3/ 260.

90 عبد الماجور أحمد السلمان، *الموصل في العهدين الراشدي والأموي*،(المكتبة الوطنية، د.ت)، مج1/ 110.

91 الأصطخري، *مسالك الممالك*، 73.

92 القزويني، *آثار البلاد*، 461 ؛ بنيامين بن يونه النباري التطيلي، *رحلة بنيامين التطيلي*، تر: عزرا حداد، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2002م)، 288.

93 ابن بطوطة، *تحفة النظار*، 244.

94 عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم *ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*، تح: مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب، د.ت)،4/ 1278.

95 ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج5، 223.

96 ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، 210– 211.

97 المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 138؛ القزويني، آثار البلاد، 463.

جزيرة ابن عمر:

تقع حاليا ضمن الأراضي التركية في محافظة شرناق،[98]وهي بلدة فوق الموصل، يقال أن أول من بناها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي سنة 250هـ/864م[99]، سميت بالجزيرة لأن دجلة محيطة بها، تقع شمالي الموصل عليها سور، ولها أشجار ومياه ومرافق، وبها مسجد عتيق، وسوق.[100]وقد نسب إلى جزيرة ابن عمر جماعة وافرة من أهل العلم نذكر منهم بني الأثير الجزريين.[101]

مدينة إربيل:

مدينة كبيرة تقع بين الزابين الأعلى والأسفل، وقلعتها مقامة على تل عال، حصينة يحيط بها سور ولها خندق عميق، وبها مسجد يسمى مسجد الكف فيه حجر عليه أثر كف إنسان، وفي المئة السابعة قامت في ربض القلعة وخارج أسوارها مدينة كبيرة عمرت فيها أسواق وقيساريات ينزل فيها التجار،[102] ولها أسماء كثيرة هي أربل وأربيلا وأربيل ويسميها الأكراد هولير، ولا تزال تحتفظ بقلعتها الشهيرة والمأهولة حتى الآن، وقد نسب إليها جماعة وافرة من العلماء نذكر منهم ابن خلكان والشيخ عماد الدين بن يونس[103].

مدينة دارا:

مدينة صغيرة، في لحف جبل بين نصيبين وماردين[104]ذات بساتين ومياه جارية[105]، وهي تابعة لنصيبين بناها دارا بن دارا آخر ملوك الطبقة الثانية من الفرس[106].

---

98 بكنغهام، *رحلتي إلى العراق*،1/ 31.

99 ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج2، 138.

100 ابن حوقل، *صورة الأرض*، 224؛ عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفداء، *تقويم البلدان*، (بيروت: دار صادر، د.ت)، 283.

101 ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج2، 138.

102 لسترنج، *بلدان الخلافة الشرقية*، 121؛ أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، *اللباب في تهذيب الأنساب*، (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت)،1/ 39.

103 بكنغهام، *رحلتي إلى العراق*، 1/ 119.

104الأصطخري، *مسالك الممالك*، 73؛ أبي الفداء، *تقويم البلدان*، 281.

105 ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج2، 418.

106 الهروى، *الإشارات*، 59؛ ابن شداد، *الأعلاق الخطيرة*، 3/ 140.

الفصل الثاني

دور علماء الجزيرة الفراتية في الجهاد ضد الصليبين

1.2.ظهور الخطر الصليبي وأثره في إقليم الجزيرة الفراتية:

تمكن الصليبيون في الفترة الواقعة بين أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وأوسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من تشكيل أربع إمارات، إمارة الرها وإمارة أنطاكية ومملكة بيت المقدس، إمارة طرابلس، و قد أحدث الاحتلال الصليبي هذا ردة فعل قوية في العالم الإسلامي،[107] فانبعثت حركات الجهاد الفعلية ضد الصليبين لأول مرة في بلاد المشرق الإسلامي من منطقة الجزيرة حيث كانت من أوائل المناطق التي اكتوت بنار الخطر الصليبي عندما استولى الصليبيون على الرها وأسسوا بها أولى الإمارات الصليبية سنة (494هـ/ 1098م)، وكانت إمارة الرها من أهم مراكز الصليبين في بلاد الجزيرة الفراتية باعتبارها قاعدة لإحدى إماراتهم الأربع في الشرق ولقربها من العراق،[108]وهكذا أصبح هذا الإقليم مسرحاً هاماً من مسارح الحروب الصليبية في القرن السادس الهجري(الثاني عشر الميلادي).

لقد شكل الغزو الصليبي صدمة مؤلمة للمسلمين، فأخذ العلماء والفقهاء يخطبون على المنابر لبيان فضل الجهاد والمجاهدين، وبدأت الدعوة إلى الجهاد تسري بين الناس في العالم الإسلامي بسرعة فعمت سائر المناطق[109]، وفي ظل هذه الظروف ظهر آل زنكي في الموصل ليقودوا حركة الجهاد، وما لبث عماد الدين زنكي أن صار أقوى حاكم، وتمكن من التغلب على

---

107 سوادي، *الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية*، 373- 374.

108 ابن الأثير، *التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية(بالموصل)*، تح: عبد القادر أحمد طليمات، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1963م)، 66؛ سوادي، *الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية*،390.

109 أبي شامة، *الروضتين*، 36.

النعرات الانعزالية، وفي سنة(522هـ/1128م) حكم حلب وقلعتها وبعدها استولى على حمص وحماة، ثم توالت فتوحاته وتمكن من تحرير الرها [110] سنة (539هـ/ 1144م) بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوما وسقطت بذلك أول إمارة صليبية نشأت في المشرق[111].

ثم قاد حركة الجهاد من بعد عماد الدين زنكي ابنه نور الدين محمود وتمكن من القضاء على كل تمزق في بلاد الشام بعد أن سيطر على دمشق والحصون التابعة لها مثل بعلبك وبصرى وشيزر وضمها إلى بقية مملكته في بلاد الشام عندما فرض الحصار عليها مما اضطر حاكمها مجير الدين آبق إلى الاستنجاد بالصليبين وبذل الأموال لهم لصد عدوان جيش نور الدين عن دمشق فهذا كان له دور في استمالة نور الدين لقلوب أهالي المدينة وسهل له أمر الاستيلاء على دمشق ودخولها في عام 549هـ/ 1154م فيكون بذلك قد أصبح شمال الشام ووسطه تحت حكم نور الدين وسهل لهم الانتصارات على القوات الصليبية في مواقع كثيرة وتمكن من استعادة العديد من المدن والقرى من أيدي الصليبين.[112]

وما لبثت حركة الجهاد أن أخذت بعداً أكثر قوة وتنظيماً عندما استطاع صلاح الدين الأيوبي توحيد جهود مصر وبلاد الشام تحت قيادته عندما تمكن من إعادة مصر لحظيرة الخلافة العباسية في بغداد منهياً بذلك الخلافة الفاطمية في القاهرة، وشن حربا طاحنة ضد الصليبين وتمكن من استعادة بيت المقدس والعديد من مناطق بلاد الشام في أعقاب معركة حطين سنة (583هـ/ 1187م) وبذلك خسر الصليبيون عاصمة مملكتهم، ودمر أكبر جيش صليبي أمكن جمعه منذ قيام الكيان الصليبي، فقد تميزت فترة حكم صلاح الدين الأيوبي (567-

110 الأصفهاني، *الفتح القسى*، 24.

111 ابن الأثير، *التاريخ الباهر*، 66؛ حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ابن القلانسي، *تاريخ دمشق*، تح: سهيل زكار، ط1،(دمشق: دار حسان، 1983م)، 367.

112 ابن الأثير، *التاريخ الباهر*، 106-107.

589هـ/ 1171-1193م) باستمرار مسيرة الجهاد ضد الصليبين، فتعددت غزواته، وقد واكبها دور جليل للعلماء فيها[113].

2.2. أبرز علماء الجزيرة الفراتية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي:

كان للعلماء دور كبير في الجهاد زمن الحروب الصليبية حيث لعبت هذه الفئة دوراً لا يستهان به في هذه الفترة، وكان لدورهم أثره الكبير في الانتصارات التي حققها القادة ضد الصليبين، كانوا يطوفون بين الجند المقاتلين يبثون الشجاعة في نفوسهم فالقراء يتلون القرآن ويحذرون الجند من تولي الأدبار في المعركة لأن الله لا يحب المدبرين وكانوا يذكرونهم بما أعده الله تعالى للشهداء في الجنة من جزاء عظيم ويستشهدون في ذلك بآيات الله الكريم وبالأحاديث النبوية الشريفة, فيرفعون الروح المعنوية للجند ويزيدون من تصميمهم ومثابرتهم في الجهاد.[114]

وقبل الحديث عن دور العلماء المسلمين في التصدي للغزو الصليبي لابد من الإشارة إلى أمر هام له علاقة كبيرة بموضوع البحث يتعلق بفكرة الجهاد في الإسلام، فالجهاد في سبيل الله من أفضل العبادات.

قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِم وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات/ 15

فالجهاد في اللغة هو بذل الجهد والطاقة، أو المبالغة في العمل من الجهد.

113 الأصفهاني، *الفتح القسى*، 29؛ أبي شامة، *الروضتين*، 39؛ عزمي عبد محمد أبو عليان، *مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في عهد المماليك*، (الأردن: دار النفائس، 1994م)، 21- 22.

114 نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين*، 260.

"والجهاد بمعناه العام يشتمل على جهاد النفس وأهوائها، وتحمل المشقة في مدافعة العدو الذي يبتغي انحراف الإنسان عن طريق الله عز وجل"[115]

والجهاد هو المبالغة واستفراغ الوسع قولا وفعلا، فيقال جهد في الشيء إذا جد فيه وبالغ وجاهد في الحرب مجاهدة وجهادا.[116]

وجعل الله الجهاد مقياسا لصدق إيمان المسلم فلا يقوم بالجهاد الحقيقي إلا المجاهدون[117]، والجهاد في سبيل الله له منزلة رفيعة ومرتبة عالية[118]،عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مثل المجاهد في سبيل الله، كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله، بأن يتوفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة"[119]، أي القائم بالليل القارئ للقرآن في صلاته.[120]

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض".[121] أي بأن الله قد أعد للمجاهدين في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مثل ما بين السماء والأرض [122]

---

115 محمد نعيم ياسين، *حقيقية الجهاد في الإسلام*، ط1، (الكويت: دار الأرقم للنشر والتوزيع، 1984م)، 33.

116 سهيل زكار، *الجهاد من عصر الحروب الصليبية*،(دمشق: التلوين، 2007م)، 216.

117 فايد حماد محمد عاشور، *الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي*، ط1، (لبنان: جروس برس، 1995م)، 14.

118 أبي بكر أحمد بن عمر بن أبي عاصم الضحاك النبيل الشيباني، *الجهاد*، تح: أبو عبد الرحمن مساعد بن سليمان الراشد الحميد، ط1، (دمشق: دار القلم، 1989م)،1/ 17.

119 أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم الجعفي البخاري، *صحيح البخاري*، (باكستان: البشرى، 2016م، مج1)، 1329.

120زكار، *الجهاد*، 223.

121 البخاري، *صحيح البخاري*،1330.

122 ابن تيمية، *فقه الجهاد*، تع: زهير شفيق الكبي،(بيروت: دار الفكر العربي، 1992م)، 14.

من خلال العرض البسيط عن تعريف الجهاد في الإسلام لنصل من خلاله إلى فهم دور العلماء في الجهاد زمن الحروب الصليبية والغزو المغولي، وأيضا من خلال ذلك سنلقي الضوء على الدور الذي قامت به هذه الصفوة من علماء المسلمين في الجهاد الصليبي هؤلاء الذين حملوا السلاح وشاركوا في المعارك في تلك الفترة العصيبة.

3.2. الفقيه عيسى الهكاري:

من العلماء الذين كان لهم دور مهم في عهد الدولتين الزنكية والأيوبية، و له أثر بارز في الجهاد ضد الصليبين واعتمدوا عليهم في أمور شتى، الفقيه عيسى الهكاري المتوفى سنة (ت. 585هـ/ 1189م) وهو أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف بن القاسم بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويقال له الهكاري الملقب ضياء الدين، ولم يعلق ابن خلكان على هذا النسب الذي اختلط فيه الكردي الكهاري بالعربي الهاشمي واكتفى بأن حمل أخي الفقيه عيسى الهكاري مسؤولية هذه المعلومات[123]، فكان له دور مهم في فترة حكم أسد الدين شركوه المتوفى سنة(564هـ/ 1168م)، وفترة حكم صلاح الدين الأيوبي حيث أنه نال ثقة الحكام، واعتمدوا عليه في المهمات السياسية والعسكرية والدينية، وبرزت مكانته في بداية تولي صلاح الدين الأيوبي لوزارة الخليفة الفاطمي في مصر حيث اعترض على وزارته بعض الأمراء النورية الذين كان لهم مطامع فيها، فتدخل عيسى الهكاري لإنقاذ الموقف ووقف إلى جانب صلاح الدين.[124]

123 أبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان، *وفيات الأعيان وأبناء الزمان*، تح: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ، د.ن، مج 3)، 497؛ نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين*، 123.

124 نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين*، 123.

شخصية الفقيه عيسى الهكاري:

تفقه بجزيرة ابن عمر وانتقل بعدها إلى حلب[125] وأصبح فقيها وتولى تدريس الفقه في المدرسة الزجاجية بحلب، فاتصل بأسد الدين شيركوه عم صلاح الدين وصار إمامه يصلي به الفرائض الخمس، ولما توجه شيركوه إلى مصر وتولى الوزارة فيها كان في صحبته، وأصبح أحد مساعديه وأسهم معه في إسقاط الخلافة الفاطمية وإسناد السلطة إلى صلاح الدين[126]، ويبدو أنه كان قد حاز ثقة شيركوه حتى أخذه معه إلى مصر بعدئذ.[127]

ونستنتج مما سبق أن عيسى الهكاري تخصص في علم الفقه الإسلامي ودرس في جزيرة ابن عمر (جزيرة بوتان) وبعدها انتقل إلى حلب.

ونرجح أن نسب الفقيه لا يعود إلى سلالة علي بن أبي طالب وربما عمل حفيده على ادعاء ذلك رغبةً في الانتساب إلى عائلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أما أصله فيرجح أنه كردي هكاري ولو كان عربيا هاشميا لما تردد في الإعلان عن ذلك لأن ذلك يدعو إلى الفخر.

الفقيه عيسى الهكاري ودوره في عهد أسد الدين شيركوه:

اتصل الفقيه عيسى الهكاري بأسد الدين شيركوه قبل توجهه إلى مصر سنة (559هـ/ 1164م)، فجعله إمامه مدة من الزمن، ثم توجها إلى مصر بطلب من الخليفة العاضد ليخلصها من الصراع بين الوزيرين شاور وضرغام، وهنا حظي برضى الأمير بعد أن فض الصراع وانتقل بعد أن نال ثقة قائده إلى العمل العسكري في الجيش الأسدي، وبدأ يرافق قائده شيركوه

---

125 تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الجلو، (دار أحياء الكتب العربية، د.م)، 7/ 255.

126 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*،3/ 436 ؛ ناجي معروف، *عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في بلاد الروم والجزيرة وشهرزور واذربيجان*، (الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والفنون)،3/ 143.

127 معروف، *عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية*، 3/ 143.

في رحلاته بين دمشق ومصر و صار رسوله في المهمات الصعبة، فبعد أن انتهى شيركوه من القضاء على ضرغام وتثبيت حكم شاور في وزارته عاد إلى الشام ولكن شاور كان يخاف من عودة الجيش النوري بقيادة شيركوه مما جعله يستكتب للصليبين حتى يسلمهم مصر ولينقذوه من القائدين، إلا أن ابنه الكامل بن شاور لم يرض فعل والده وطلب من الخليفة العاضد أن يكاتب نور الدين ليأتي بجيشه لإنقاذ مصر[128] فقام شيركوه بإرسال عيسى الهكاري إلى مصر برسالة علنية إلى شاور يعلمه أن العساكر آتية وأرسل أيضا برسالة سرية إلى العاضد، فتمكنوا من إنقاذ مصر[129]، وهذا يدل على الثقة الكبيرة التي حظي بها عيسى الهكاري عند نور الدين وشيركوه حتى أفضوا إليه بالأسرار العسكرية والسياسية.

المساهمات التي قام بها الفقيه عيسى الهكاري:

الدور الأبرز للفقيه عيسى كان في فترة حكم صلاح الدين عندما وقف إلى جانب صلاح الدين الأيوبي ضد المؤامرات التي حيكت ضده عقب توليه الوزارة فلم يكن مجرد فقيه يجيد الغوص في بطون الكتب الدينية وإنما كان أيضا سياسيا محنكا، يعلم بدقة مراكز القوى في الجيش النوري ويمتلك مهارات المناورات السياسية، فبعد وفاة أسد الدين شيركوه طمع كبار الأمراء من بعده وتنافسوا في تولي الوزارة خلفا له، و رفضوا أن يلبوا وصيته بولاية صلاح الدين وكادت تحدث فتنة بين قوات السلطان نور الدين زنكي في مصر، فتدخل عيسى الهكاري وسعى جاهدا بين هؤلاء الأمراء حتى تمكن من جمعهم حوله بأنواع من الترغيب والترهيب[130]،

---

128 جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري ابن تغري، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ط1، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1935م، ج6، 110؛ عبد الرحمن رائد، *الفقيه عيسى الهكاري ودوره في عهدي أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي*، (دار المنظومة ، العدد1، مج 21، 2019م)، 14-15.

129 أبي شامة، *الروضتين*، تح: إبراهيم الزيبق، ط1، (لبنان: مؤسسة الرسالة، 1997م، ج2)، 105.

130 مصعب حمادي نجم الزيدي، *فقهاء دولة الناصر صلاح الدين الأيوبي*، (الموصل: مجلة آداب الرافدين، العدد الواحد والسبعون، 2017م)، 339- 340 ؛ علي محمد محمد الصلابي، *صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، ط2،(لبنان: دار المعرفة، 2008م)، 333.

واتفق مع بهاء الدين قراقوش على إسناد الوزارة لصلاح الدين وآزرهم الخليفة العاضد في ذلك فاستدعى صلاح الدين وخلعت عليه خلع الوزارة ولقب بالناصر.[131] استطاع الفقيه عيسى بقوة شخصيته وذكائه أن يوطد الأمور لصلاح الدين في بداية توليه حتى يتيح له الفرصة للتفرغ لحشد الأمة وتوحيد جهودها للجهاد ضد الصليبيين[132]

ويستدل مما سبق على أن الحنكة السياسية للفقيه عيسى الكهاري وقدرته على كسب الأمراء النوريين وضمان وقوفهم خلف صلاح الدين مع أن كل واحد منهم كان يطمع بمنصب الوزارة لنفسه ليس لها نظير، وقد كان له دور في إصلاح الموقف بين صلاح الدين ونور الدين محمود عندما اعتذر صلاح الدين عن الزحف إلى حصن الكرك، بل وطلب نور الدين الذي قبل وساطة عيسى الهكاري وحمله رسالة إلى صلاح الدين بأن حفظ مصر أهم عنده من غيرها[133].

الفقيه عيسى الهكاري ومشاركته للسلطان صلاح الدين الأيوبي في حصار الموصل:

في إطار سعي السلطان صلاح الدين لتوحيد الجبهة الإسلامية أراد عام578هـ/ 1182م أن يحاصر الموصل ويستعيدها من حاكمها الأتابك عز الدين مسعود ويضمن وقوفها معه ضد الصليبيين، ولكن بعد مناوشات جرت بين الطرفيين تدخل الخليفة العباسي الناصر لدين الله لفض النزاع وأرسل صدر الدين شيخ الشيوخ مندوبا عنه للتوسط في الصلح وحضر عن صلاح الدين القاضي الفاضل والفقيه عيسى وقام كلاهما بالتباحث في الأمر ونجحا في تحقيق الصلح بين الطرفيين. وأقام السلطان على الموصل أياما وعلم أنه بلد عظيم لا يتحصل منه

---

131 ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج12، 256؛ كمال الدين أبي القاسم عمر بن هبة الله ابن العديم، *زبدة الحلب من تاريخ حلب*، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، (لبنان: دار الكتب العلمية، 1996م)، 351.

132 زين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي، *تاريخ ابن الوردي*، ط1،(لبنان: دار الكتب العلمية، 1996م)، 2/ 74 ؛ جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تح: جمال الدين الشيال،(دار الوثائق، د.م، د.ت)،1/ 169.

133 عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، *جهود علماء مصر والشام في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية*، (فلسطين: الجامعة الإسلامية غزة، رسالة ماجستير، 2010م)، 132.

شيء بالمحاصرة على هذا الوجه، ورأى أن فتحه إنما يكون عن طريق أخذ قلاعه وما حوله من البلاد، فرحل عنه".[134]

ويتضح لنا من هذا الموقف اعتماد صلاح الدين على هؤلاء الصفوة من رجال الدين في دولته من أمثال الفقيه عيسى الهكاري في المهام الدبلوماسية وفي التحدث نيابة عنه في الأمور الهامة وذلك لثقته في حكمتهم ورأيهم السديد.

الهكاري رسولا لصلاح الدين:

وتتولى الأحداث بعد ذلك لتؤكد أهمية ودور هذا الفقيه في دولة صلاح الدين الأيوبي، حيث قام الفقيه عيسى الهكاري في سنة 581هـ/ 1185م بمهمة دبلوماسية أخرى حين أرسله صلاح الدين نائبا له على رأس وفد لكي يتفاوض مع وزير خلاط[135] لأنه بعد وفاة شاه أرمن سكمان حاكم خلاط "حيث إن شاه أرمن لم يخلف ولدا يملك بلاده، فقد استولى مملوك له اسمه سيف الدين بكتمر على البلاد وتوجه نحوه البلهوان بن إيلدكز صاحب أذربيجان وهمذان ليأخذ البلاد منهم, وطمع وزير خلاط أيضا في الاستيلاء عليها، ولما بلغهم مسيره إليهم كاتبوا صلاح الدين يستدعونه طالبين منه التدخل"[136]فبعث السلطان الفقيه عيسى الهكاري في هذه المهمة ليمهد الطريق ويناقش الأطراف المتخاصمة فتحدث وزير خلاط مع الفقيه عيسى طالبا استعجال السلطان في الوصول قبل البهلوان، وكان قد غادر السلطان الموصل بالفعل متوجها إلى خلاط ونزلوا بطوانة، ولما علم البهلوان بتلك التطورات والموقف الحاسم الذي قام به الفقيه عيسى في دعم ومساندة وزير خلاط وإرساله رسالة عاجلة إلى صلاح الدين دخل الخوف قلبه وطلب

---

134 ابن شداد "بهاد الدين"، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين*، تح: جمال الدين الشيال، ط1، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1964م)، 102.

135 خلاط: وهي قصبة أرمينية الوسطى فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة ولها البحيرة التي ليس لها في الدنيا نظير، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، تح: فريد عبد العزيز الجندي،(بيروت: دار الكتب العلمية)،2/ 436.

136 ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، راجعه: محمد يوسف الدقاق، ط4،(بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م، مج 10)، 132-133.

الصلح مع وزير خلاط[137] "وأعاد البلاد إليه واعتذر إلى رسل السلطان وعادوا من غير زبدة وكان السلطان قد نزل على ميافارقين"[138]، وبفضل حكمة ودهاء الفقيه عيسى الهكاري ورجاحة آرائه التي مكنته من النجاح في هذه المهمة وفتح أبواب الاستعطاف بين الطرفيين.

وكان الفقيه عيسى الهكاري حريصا على تماسك البيت الأيوبي وعدم حصول نزاعات بين أفراد البيت الأيوبي، فبعد أن سيطر صلاح الدين على بلاد الشام والأجزاء الجنوبية والغربية والشمالية من كردستان، وفي سنة 582هـ/ 1186م وصل السلطان إلى حران فمرض السلطان مرضا شديدا، فقام بعدة تعديلات في مصر والشام خاصة بخصوص نوابه في البلاد لرغبته في الاطمئنان على مستقبل البلاد بعد وفاته ولعدم حدوث خلاف بين أبنائه بالإضافة إلى تدريبهم على سياسة الملك في حياته وصيانة البلاد من الانشقاق ولاسيما أنه كان يجهز نفسه للدخول في معركة حاسمة من معارك جهاده ضد الصليبيين ومن أجل أن يهيئ لأبنائه مقاليد الأمور من بعده، فلما وصلت الأخبار إلى السلطان صلاح الدين أن ابن أخيه تقي الدين عمر نائبه في مصر مع ولده قد صدرت عنه تصرفات أثناء مرض صلاح الدين بحران تدل على رغبته في الاستبداد بالحكم في مصر، وكان من كبار أمراء البيت الأيوبي فتمرد وحاول إثارة القلاقل في الدولة الأيوبية وعندما تعافى صلاح الدين طلب منه الحضور إلى دمشق لكنه رفض وشرع في السفر، وهنا ظهرت جهود الفقيه عيسى الهكاري إذ أن صلاح الدين كلفه بحل المشكلة والتوجه إلى مصر وإخراج تقي الدين منها والإقامة فيها، وبناء على ذلك أسرع الفقيه عيسى الهكاري بتلبية الأمر وتنفيذ المهمة فتوجه إلى مصر ونفذ ما أمر به وظل مقيما بها حتى وصل الملك العادل أخو صلاح الدين وبصحبته ابن صلاح الدين العزيز عثمان.[139]

---

137 محمد بن عمر بن شاه نشاه الأيوبي تقي الدين، *مضمار الحقائق وسر الخلائق*، تح: حسن حبشي،(القاهرة: عالم الكتب، 1401هـ)، 222 ؛ نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين*، 127-128 ؛ الصلابي، *صلاح الدين الأيوبي*، 334.

138 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 118.

139 نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين*، 128.

وهكذا استطاع الفقيه عيسى الهكاري أن يزيل خطرا من أشد المخاطر التي كانت ستؤدي إلى نشوب الصراعات بين أفراد البيت الأيوبي.

ومما تقدم يتضح لنا الدور العظيم الذي قام به الفقيه عيسى الهكاري في تثبيت دعائم الدولة الأيوبية في مهدها فقد استطاع أن يوطد الأمور لصلاح الدين.

1.3.2.دور عيسى الهكاري في الجهاد ضد الصليبين:

وبعد أن تولى صلاح الدين الوزارة بدأ جهاده و شاركه الكثير من المتطوعين من العلماء والفقهاء وفي مقدمتهم الفقيه عيسى الهكاري، "وكان يلبس زي الأجناد ويعتم بعمائم الفقهاء فيجمع بين اللباسين"[140]، فعندما خرج الفقيه عيسى مع صلاح الدين من مصر سنة 573هـ/ 1177م لمحاربة الصليبيين في عسقلان قام بالإغارة عليها وتمكن من إحراز تقدم على الصليبين فقتل الكثير من الصليبيين وأسر الكثير وأحرق ما حولها، ثم واصل صلاح الدين بمن معه إلى الرملة فسبى وغنم[141] ولكن لما تشاغل الجيش بالغنائم وتفرقوا في القرى والمناطق التي حولها وبقي صلاح الدين في طائفة قليلة من جنده قام الصليبيون فجأة بالهجوم عليهم فارتبك المسلمون وأخذوا يقاتلون الصليبين ولكن حلت بهم الهزيمة وقتلت وأسرت أعداد كثيرة منهم وكان الفقيه عيسى الهكاري وأخوه ظهير الدين ممن وقعوا في الأسر،[142]ويذكر ابن الأثير أنه "كان أشد الناس قتالا ذلك اليوم الفقيه عيسى"[143], وتمت الهزيمة على المسلمين, وقام صلاح الدين بفك أسر الفقيه عيسى وافتداه بمبلغ ستين ألف دينار ولم يقتصر على فك أسره وفدائه بالأموال فقط

---

140 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، مج 3، 498.

141 تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1،(لبنان: دار الكتب العلمية، 1997م)، 1/ 175؛ الذهبي، *العبر*، 3/ 63.

142محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، *تاريخ الإسلام*، الطبقة الثامنة والخمسون، 21 ؛ نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين*، 125.

143 ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مج 10، 85.

بل أطلق كثيرا من جماعة الفرسان الداوية ممن كانت عنده في الأسر[144]، وهذا يدل على المنزلة الرفيعة التي كان يحظى بها الفقيه عيسى لدى صلاح الدين الأيوبي.

فتح عكا:

وكان له دور في معركة حطين فبعد الانتصار الذي حققه المسلمون في معركة حطين (583هـ/ 1187م) استقر رأي السلطان على استكمال هذه الفتوحات، وبدأ صلاح الدين بفتح مدينة عكا يوم الجمعة الثاني من جمادى الأولى سنة (583هـ/ 1187م)[145]،لأنها الطريق الموصل إلى بيت المقدس وبفتحها تقطع الإمدادات التي تصل عن طريقها من أوروبا إلى الصليبيين بيت المقدس.

فسار إلى المدينة وحاصرها وتولى الفقيه عيسى الهكاري قيادة مقدمة جيش السلطان صلاح الدين في المعركة، واعتصم صليبيو المدينة داخل قلاعها وطلبوا من السلطان الأمان فأمنهم وخيرهم بين الإقامة أو الرحيل فاختاروا الرحيل عن المدينة ودخلها السلطان والفقيه عيسى وصلوا في جامعها صلاة الجمعة.

وأقام صلاح الدين عدة أيام بعكا لإصلاح حالها وتنظيم قواعدها وأسند أمر الخطابة والإمامة إلى الفقيه جمال الدين السهروردي،[146]وأعطى السلطان بعد فتح عكا كل ما يتعلق بجماعة الفرسان الداوية من منازل وغير ذلك للفقيه عيسى الهكاري اعترافا بمكانته ومشاركته في الجهاد ضد الصليبيين، وغنم المسلمون غنائم كثيرة مما لم يطق الفرنجة حمله ما لا يحصى من ذهب وجواهر وسلاح وغير ذلك[147].

---

144 ابن الوردي، *تاريخ ابن الوردي*، 2/ 86 ؛ زكار، *الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية*،(دمشق: 1995م، ج 23)، 56.

145 ابن تغري، *النجوم الزاهرة*، 6/ 104.

146 ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مج 10، 149؛ نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين*, 143-144.

147 أبي محمد يوسف سبط أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، *مرآة الزمان*، (د.م، د.ت)، 8/ 252.

وفتح السلطان خلال مدة إقامتهم بعكا عدة حصون فبعث عساكره إلى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها[148].

فتح بيت المقدس:

واستكمل صلاح الدين الأيوبي فتح بقية المدن وبرفقته الفقيه عيسى الهكاري حيث إنه لم يبق في أيدي الصليبين من هذه المدن سوى القدس وصور فتوجه صلاح الدين إلى بيت المقدس لتخليصها من أيدي الصليبين وشارك في هذه المعركة أعداد كبيرة من العلماء والفقهاء في فتح بيت المقدس و "قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف معروف عن الحضور"،[149] وساروا حتى نزلوا على القدس منتصف رجب ولما وصلوا رأى المسلمون على سوره الكثير من الرجال، وسمعوا لأهله من الغلبة[150].

فبقي صلاح الدين خمسة أيام يطوف حول المدينة ليرى من أين ينبغي أن يقاتل لشدة حصانتها فلم يجد موضعا مناسبا إلا من جهة الشمال فنصب صلاح الدين من جهة الشمال نحو باب عمود المنجنيقات ونصب الفرنجة على سور المدينة منجنيقات ورموا بها وقاتلوا أشد قتال[151]وأزالوا الصليبين عن مواقعهم وأدخلوهم بلدهم ووصل المسلمون إلى الخندق وجاوزوه حتى وصلوا إلى الأسوار وشرعوا في نقبها والرماة يطلقون السهام والمنجنيقات تتوالى على الصليبين واستطاعوا فتح ثغرات عديدة في السور[152] ولما رأى الصليبيون شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات في الأسوار وأنهم يشرفون على الهلاك تشاوروا فيما بينهم فاتفق رأيهم على

---

148 ابن واصل، *مفرج الكروب*، 2/ 201- 202.

149 الأصفهاني، *الفتح القسى*، 73؛ ابن تغري، *النجوم الزاهرة*، 6/ 110.

150 مؤيد عماد الدين إسماعيل أبي الفدا، *المختصر في أخبار البشر*، تح: محمد زينهم عزب، يحيى سيد حسين، (القاهرة: دار المعارف، ، د.ت)،3/ 93.

151 الذهبي، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، الطبقة التاسعة والخمسون، 24 ؛ ابن واصل، *مفرج الكروب*، 2/ 212؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، 12/ 323.

152 سبط ابن الجوزي، *مرآة الزمان*، 8/ 254؛ الشامي، *صلاح الدين والصليبيون*، 137 ؛ جميل بيضون، أحمد عودات وشحادة الناطور، *تاريخ المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى القرن السابع الهجري*، ط1، (الأردن: دار الأمل، 1989م)، 173.

طلب الأمان وعلى تسليم بيت المقدس إلى صلاح الدين لكن صلاح الدين رفض وقال لا بل أفعل فيكم كما فعلتم بأهله[153]حين ملكتموه منذ إحدى و تسعين سنة، فرجعت رسلهم خائبين فخرج صاحب الرملة بنفسه و طلب الأمان فلم يعط فاستعطف السلطان بالتهديد بقتل النساء والأطفال وأسرى المسلمين فتشاور صلاح الدين مع أمرائه فأجمعوا على إعطاء الأمان. حينئذ أعطاهم الأمان ودخل صلاح الدين القدس ورفعت أعلام الإسلام على أسوار المدينة، وأمر بتطهير المسجد والصخرة من الأقذار والأنجاس[154] وعلقت القناديل، وسلمت المدينة إلى صلاح الدين يوم الجمعة 27رجب ليلة الأسراء والمعراج سنة(583هـ/ 1187م) وقام بتوزيع الأموال التي أخذها من الصليبين على الأمراء والعلماء الذين كانوا معه في هذا الفتح، وصلى فيها يوم الجمعة ورتب فيه صلاح الدين خطيبا وإماما برسم الصلوات الخمس،[155]ودوى أذان المسلمين في المسجد الأقصى وسكت ناقوس المسيحيين.[156]

وقام بإزالة ما استحدثه الصليبيون من الأبنية والأسوار وكَسَرَ الصلبان وغسل الصخرة بعدة أحمال من الماء، وأمر عيسى الهكاري بأن يكون أمينا عليها و أدار عليها شبابيك من حديد, ولما فرغ صلاح الدين من إزالة ما استحدثه الصليبيون داخل بيت المقدس بدأ بعمارة المسجد الأقصى وأحضر له رخاما لا يوجد مثله وشرع في عمارته وتزينيه وتدقيق نقوشه باذلا وسعه في تحسينه وترصيفه ورتب له من الخطباء والأئمة والمؤذنين وأقيمت الصلوات

153 الفتح بن علي البنداري، *سنا البرق الشامي*، تح: فتحية النبراوي، (الأزهر: مكتبة الخانجي بمصر، 1979م)، 311؛ رزق الله منقريوش الصرفي، *تاريخ دول الإسلام*، (مصر: مطبعة الهلال، 1907م)، 2/ 233.

154 سبط ابن الجوزي، *مرآة الزمان*، ج8، 254؛ الصرفي، *تاريخ دول الإسلام*، 2/ 233.

155 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 135؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مج 10، 155-156 ؛ ابن واصل، *مفرج الكروب*، 2/ 213؛ طقوش، *تاريخ الحروب الصليبية(حروب الفرنجة في المشرق)*، ط1، (لبنان: دار النفائس، 2011م)، 484.

156 وفاء محمد علي، *قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام*، ط1،(دار الفكر العربي، القاهرة 1987م)، 140.

وأحضر المصاحف وقام بإنشاء المدارس والأربطة، وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية[157]، وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح وإلى سائر البلاد[158].

ومما تقدم نجد مدى الدور العظيم الذي قام به العلماء والفقهاء لفتح بيت المقدس حيث انضموا إلى صفوف المجاهدين وحملوا السلاح، وأهمية الدور الذي قام به الفقيه عيسى الهكاري بعد فتح بيت المقدس فقام بصناعة شبابيك من حديد للصخرة المقدسة لصيانتها من أي عبث بعد أن أزال عنها صلاح الدين ما أقامه الصليبيون من صور وصلبان حولها.

معركة مرج عكا:

وكان له دور واضح في المعركة التي وقعت في مرج عكا سنة (585هـ/ 1189م) حيث أطلق على هذه المعركة المصاف الأعظم أو الوقعة الكبرى إذ تولى مقدمة الجيش[159] وخرج الصليبيون من معسكرهم كالجراد المنتشر فكانت وقعة عظيمة ابتدأها المسلمون وكان النصر حليف المسلمين وتكبد الصليبيون خسائر فادحة في الأرواح قدرت بعشرة آلاف قتيل، واستشهد في هذه المعركة ظهير الدين الهكاري أخو عيسى الهكاري حيث كان واليا على بيت المقدس وكان قد جمع العلم والدين والشجاعة[160].

وفاة الفقيه عيسى الهكاري:

"ولم يزل على مكانته إلى أن توفي في يوم الثلاثاء التاسع من ذي العقدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالمخيم ثم نقل إلى القدس ودفن بظاهرها، رحمه الله تعالى"[161]، كان مع

---

157 ابن كثير، *البداية والنهاية*، 12/ 324؛ الحسيني معدى، *صلاح الدين الأيوبي بطل الشرق والغرب*، ط1، (القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع، 2013م)، 128 ؛ زكار، *الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية*، 22/ 491 ؛ الصلابي، *صلاح الدين الأيوبي*، 551.

158 المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 1/ 211.

159 ابن واصل، *مفرج الكروب*، 2/ 296؛ الأصفهاني، *الفتح القسي*، 189.

160 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 172 ؛ عاشور، *جهود علماء مصر والشام*، 186؛ زكار، *الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية*، 22/ 502.

161 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، مج3، 497؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 1/ 216.

صلاح الدين في معظم معاركه وفتوحه، وهو من أعيان أمراء عسكره ومن قدماء الأسدية وكان فقيها جنديا شجاعا كريما[162].

خلاصة:

ويستدل من مكان وفاته أنه مات مرابطا في سبيل الله في فلسطين في أثناء مواجهته للصليبيين لمدينة عكا برفقة صلاح الدين الأيوبي.

ومما تقدم نجد أن الفقيه عيسى الهكاري يستحق أن يسمى مهندس قيام الدولة الأيوبية، فلولا مناوراته السياسية لما تمكن صلاح الدين من البقاء في منصب الوزارة ولولا بقاؤه في هذا المنصب لما استطاع ترسيخ نفوذه في مصر وأن يتوسع ليشمل شمالي البلاد حيث استفاد صلاح الدين من موارد مصر وموقعها الجيوسياسي في السيطرة على بلاد الشام بعد وفاة نور الدين سنة 569هـ، وصار أقوى حاكم في غربي آسيا ومن قادة شعوب المنطقة لمواجهة الصليبين.

ونستخلص مما سبق: أنه لولا وجود مثل هؤلاء الرجال المخلصين من أمثال الفقيه عيسى الذي وقف إلى جانب صلاح الدين الأيوبي لكان لتاريخ غربي آسيا مسار آخر مختلف تماما.

4.2. ابن شداد مكانته ومؤلفاته (539هـ/1145م- 632هـ/ 1234م):

نسبه: هو أبو المحاسن بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدي الموصلي الشافعي، المعروف بابن شداد[163] نسبة لشداد جده لأمه، ولقب ببهاء الدين، ولد في الموصل في العاشر من شهر رمضان(539هـ/ 1145م) و درس فيها القرآن والحديث، توفي أبوه وهو طفل صغير فنشأ في كنف أخواله بني شداد ولهذا نسب إليهم، "وقد تلقى علومه الأولى في الموصل

162 ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مج 10، 190؛ ابن الوردي، *تاريخ ابن الوردي*، 99؛ ابن تغري، *النجوم الزاهرة*، 6/ 110.

163 الذهبي، *الأعلام بوفيات الأعلام*، تح: مصطفى بن علي عوض، ربيع أبو بكر عبد الباقي، ط1، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1993، مج1)، 426؛ أبي شامة، *الروضتين*، 65.

وحفظ القرآن الكريم في صغره، ولازم الشيخ صائن الدين أبو بكر الأزدي القرطبي فقرأ عليه بالطرق السبع وأتقنها، وبرع في الفقه والعلوم وساد أهل زمانه، عمل ابن شداد معيدا في المدرسة النظامية في بغداد لمدة أربع سنوات ثم عاد إلى الموصل ليتولى التدريس في المدرسة العالية هناك"[164].

"ألف ابن شداد عدد من مؤلفات منها: دلائل الأحكام وتحدث فيها عن الأحاديث النبوية المستنبط من الأحكام، و كتاب ملجأ الحكام عند التباس الأحكام، وكتاب العصا، وفضائل الجهاد ألفه خصيصا لصلاح الدين، وكتابه النوادر السلطانية اليوسفية المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي"[165] حيث يقع هذا الكتاب في قسمين فخصص أول قسم عن نشأة صلاح الدين وصفاته كوقاره وعدله حيث قدم معلومات واسعة ومفصلة ونادرة عن سيرة صلاح الدين واستعرض الكتاب وصفا وترجمة لحياة السلطان ومدى التزامه بالفرائض كالصلاة والزكاة والحج وتطرق الكتاب إلى الصفات التي تمتع بها السلطان كالكرم والشجاعة والصبر والجهاد. والكتاب غني بالمعلومات العسكرية، وفي القسم الثاني تحدث الكتاب عن تقلبات أحواله ووقائعه وفتوحاته وتواريخها، وكتابه فضائل الجهاد للسلطان صلاح الدين الأيوبي وجمع فيه كثيرا من الأحاديث التي تحث على الجهاد، كما ذكر عدد القلاع والحصون والمدن التي فتحها صلاح الدين الأيوبي فيها مع وصفه للأحداث التاريخية والمعارك التي دارت بين الصليبيين والأيوبيين بدقة وتفصيل،[166]ويعد كتابه من أوثق وأهم المراجع التاريخية لسيرة صلاح الدين الأيوبي، حيث اعتمد عليه الكثير من المؤرخين والباحثين من عرب وأجانب نظرا لأهميته العلمية ولقربه من الأحداث في مرحلة الحروب الصليبية فكان شاهد عيان للأحداث التي أرخ لها.

بعد هذه اللمحة الموجزة عن حياة ابن شداد نذكر فيما يلي كيفية التحاقه بخدمة صلاح الدين الأيوبي.

---

164 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، ج7، 84 – 87 ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، (القاهرة: مكتبة القدسي، 1351هـ، ج5)، 158.

165 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 13.

166 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 14؛ أبي شامة، *الروضتين* ، 66.

اتصاله بصلاح الدين:

في سنة(583هـ/ 1187م) ذهب حاجاً إلى بيت الله الحرام وكان يزمع في طريق عودته أن يزور بيت المقدس، وقد استردها صلاح الدين في ذلك الوقت، ولكنه نزل أولاً بدمشق، وعندما وفد على دمشق كان صلاح الدين مقيما على حصار قلعة كوكب، وعلم بقدوم ابن شداد إلى دمشق وكان يعرفه منذ أن اتصل في سفارته السابقة كرسول من رسل أتابك الموصل في الصلح مع صلاح الدين، في هذه الأثناء التحق بخدمة صلاح الدين الأيوبي، فلما اتصل به أعجبه ودخل في خدمته سنة(584هـ/ 1188م) حيث ولاه قاضيا للعسكر، و استدعاه صلاح الدين الأيوبي الذي كان قد قرأ له وأعجب بكتاباته، ولازم ابن شداد صلاح الدين وأصبح واحد من أهم رجاله ومن المقربين إليه[167].

يقول ابن شداد في مؤلفه السيرة حول اتصاله بصلاح الدين:" ولما ودعته ذاهباً إلى القدس خرج لي بعض خواصه- عماد الدين الكاتب الأصفهاني- وأبلغني تقدمه إلي بأن أعود أمثل في خدمته عند العودة من القدس، فظننت أنه يوصيني بمهمة إلى الموصل"[168].

1.4.2. دور ابن شداد في الحث على الجهاد:

علت مكانته عند ملك الموصل عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فكان عنده بمثابة سفير يحمل رسائله المهمة إلى الخليفة العباسي ببغداد وإلى صلاح الدين ومن خلال مهمته هذه والتقائه بصلاح الدين تعرف عليه صلاح الدين عن قرب فضمه إلى خدمته وكان ذلك سنة 584هـ/1188م وصار مستشاره ولذلك صنف كتابه النوادر السلطانية الذي هو من أهم الكتب التي تناولت سيرة صلاح الدين الأيوبي لقرب مؤلفه منه لا كونه مجرد معاصر أو شاهد عيان له، بل سجل أدق المعلومات عن تحركاته وحروبه مع أمراء الشام والجزيرة الفراتية وجهاده ضد الصليبيين[169].

---

167 أبي شامة، *الروضتين*، 65.

168 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 6-14.

169 الحارثي، *الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية*، 357.

ولاه صلاح الدين في سنة(584هـ/ 1188م) قضاء العسكر والحكم بالقدس، وكان معه في غزواته وفتوحاته فدون وقائعه وأخباره في كتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، وكان ملازما لصلاح الدين في كل فتوحاته بصفته قاضيا للعسكر، ليشرف على الشؤون الدينية في الجيش ويشترك مع الجند في أعمالهم، بل لم يقتصر دور القاضي ابن شداد على هذا فقد كان قريبا من صلاح الدين في غزواته ويسانده ويشجعه ويروي له الأحاديث الشريفة لكي يخفف عنه عناء الحرب ويسامره.[170]

تعددت مساهمات ابن شداد في الحث على الجهاد وبيان فضله، ومنها ما كان عند فتح صلاح الدين لصفد سنة 584هـ/ 1188م، والتي أظهر فيها استعدادا كبيرا لفتحها، وعينوا عليها خمسة مجانيق رافضا تأخير ذلك لقوله" ما ننام حتى تنصب الخمسة" واستمروا في العمل حتى الصباح، وصلاح الدين ملازم للجيش مشرف على نصب المجانيق، وكان لموقفه هذا بحراسته لثغور الإسلام أثر في نفس ابن شداد مما دعاه إلى تذكير السلطان بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تحمل البشرى للمجاهدين في سبيل الله[171]، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عينان لا تمسهما النار: عين باتت تحرس في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله" [172]، وظل القتال متواصلا على صفد حتى سلمت المدينة[173].

دور ابن شداد في حصار الموصل:

بعد أن ضم صلاح الدين ميافارقين توجه إلى الموصل ليحاصرها فمر من طريق نصيبين وعند وصوله إلى كفر زمار في شعبان سنة(581هـ / 1185م) أقام فيها لحين انتهاء الشتاء، فبعث عز الدين مسعود صاحب الموصل رسولا إلى صلاح الدين يطلب منه الصلح وفي ذلك الحين مرض صلاح الدين وقام بالرحيل إلى حران، فاغتنم عز الدين مسعود هذه الفرصة بعد

---

170 نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين*، 160.

171 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 152.

172 أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، *الجامع الصحيح سنن الترمذي*، تح: إبراهيم عطوة عوض، ط1، (مصر: مصطفى الباني، 1962م)،4/ 175.

173 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 152.

أن فشلت كل محاولاته في مساندة الخليفة له ومحاولته في العودة إلى التفاهم مع صلاح الدين، فقام صلاح الدين بإرسال ابن شداد وفوضه لتوقيع الصلح فتوجه ابن شداد إلى عز الدين مسعود وعقدت الاتفاقية بين الطرفيين والتي نصت على تسليم عز الدين مسعود أتابك الموصل إلى صلاح الدين شهرزور وأعمالها وأن يتخلى صلاح الدين عن الموصل إلى عز الدين مسعود على أن تكون تابعة إلى صلاح الدين وأن يخطب باسم صلاح الدين على جميع منابر الموصل وضرب السكة باسمه وقطع الخطبة السلجوقية عن تلك البلاد وأن يكون عز الدين ملتزما بالحضور مع عساكره متى استدعاه صلاح الدين وأن يشارك صلاح الدين على قتال الصليبين واسترجاع فلسطين، وبهذا الاتفاق استطاع صلاح الدين توحيد الجبهة الإسلامية تحت زعامته[174].

2.4.2. مشاركة ابن شداد بالجهاد ضد الصليبين:

كان له دور كبير في المعركة التي دارت رحاها حول مدينة عكا عام(585هـ/ 1189م) حين كان صلاح الدين يحاصر قلعة شقيف أرنون[175]عندما قرر الصليبيون الذين كانوا موجودين في الصور فرض الحصار عليها بقيادة جاي دي لوزجينان، فقام السلطان بعقد مجلس ليتشاور فيها بخصوص ما ينبغي فعله تجاه الخطر الصليبي المقترب، وقد أبدى صلاح الدين رأيه بالإسراع بمهاجمة الصليبين قبل وصولهم إلى عكا، لكن رأى أعضاء المجلس ومن بينهم القاضي ابن شداد أنه من الأفضل ترك الصليبين حتى يصلوا إلى عكا لكي يحاصروهم داخل أسوار المدينة من جهة وبين الجيش الإسلامي من جهة أخرى، وقامت بين الطرفين معارك

174 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 119 ؛ الصلابي، *صلاح الدين الأيوبي*، 444- 445 ؛ زكار، *الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية*، 23/ 70 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، *الناصر صلاح الدين*، (المؤسسة المصرية العامة، د.م، د.ت)، 175.

175 شقيف أرنون: وهي قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل تقع في لبنان من أرض دمشق بينهما وبين الساحل، وكان الصليبيون قد استولوا عليها سنة (534هـ/1139م) وظلت خاضعا لهم حتى سقطت في أيدي المسلمين سنة (585 هـ/ 1189م) ، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 3/ 356.

وشارك فيها كثير من العلماء سميت هذه المعركة لشدتها بالوقعة الكبرى وكان القاضي ابن شداد مشاركا فيها وقام بوصفها وصفا دقيقا كشاهد عيان لها.

وانتصر المسلمون في المعركة وتكبد الصليبيون خسائر فادحة فقتلت أعداد كبيرة منهم قدرت بعشرة آلاف قتيل، وبعد انتهاء المعركة دعا صلاح الدين إلى عقد مجلس شورى حضره الأمراء والقاضي ابن شداد وعدد من العلماء من أجل البت في أمر عكا، فقام صلاح الدين بإلقاء خطبة عليهم قال فيها:" بسم الله الرحمن الرحيم, الحمد لله، والصلاة على رسول الله، اعلموا أن هذا عدو الله وعدونا، قد نزل في بلدنا، وقد وطئ أرض الإسلام، وقد لاحت لوائح النصر عليه إن شاء الله تعالى، وقد بقى في هذا الجمع اليسير، ولا بد من الاهتمام بقلعه، والله قد أوجب علينا ذلك، وأنتم تعلمون أن هذه عساكرنا ليس وراءنا نجدة ننتظرها سوى الملك العادل وهو واصل، وهذا العدو إن بقي وطال أمره إلى أن يفتح البحر، جاءه مدد عظيم، والرأي كل الرأي عندي مناجزتهم. فلينجزنا كل منكم ما عنده في ذلك"[176].

وبعد مشاوراتهم انقسم أعضاء المجلس إلى قسمين حيث أيد فريق السلطان بالاستمرار في القتال قبل أن يجمع العدو شمله ويصله الإمدادات عن طريق البحر والفريق الثاني عدم القتال واتجاه العسكر إلى الخروبة.

وقام السلطان بالنزول على رأي المعارضة وانتقل المعسكر إلى الراحة فانتهز الصليبيون هذه الفرصة واتخذوا كل احتياطاتهم لحماية أنفسهم من صلاح الدين، فأدى ذلك إلى ضياع عكا بعد حصار عامين كاملين.[177]

مسير القاضي ابن شداد في الرسالة إلى الشرق:

وفي سنة(585هـ / 1189م) وصلت الأخبار إلى صلاح الدين بخروج حملة صليبية جديدة بقيادة فريدريك الأول وقد وصلت إلى القسطنطينية على رأس جيش كبير فاستنفز صلاح

176 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 177؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 1/ 215.

177 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 178؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مج10، 188؛ نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين*، 165.

الدين الجيوش وأرسل بهاء الدين ابن شداد إلى الخليفة في بغداد وإلى أمراء العراق في الموصل وسنجار صاحب الجزيرة وإربيل يدعوهم للقتال وبقي ابن شداد ستة أشهر مندوبا عن صلاح الدين وأدى مهمته بنجاح، وخرج عماد الدين زنكي صاحب سنجار بعسكره وخرج ابن أخيه سنجر شاه صاحب الجزيرة يجر عسكره وبعث صاحب الموصل عز الدين ابنه علاء الدين خرم شاه على رأس جيش وخرج صاحب إربيل بنفسه وعسكره سنة (586ه/1190م) وأمدهم صلاح الدين بحمل[178] من النفط الطيار وحملين من القنا[179]، وقام الصليبيون بصنع ثلاثة أبراج من الخشب والحديد كالجبال أحرقها المسلمون وأرسل السلطان إلى مصر بعمارة الأسطول وتم إحضاره إلى عكا، حيث دارت الحرب في ثلاثة مواضع في البحر والحصار في البر وكان النصر للمسلمين[180]

ومما تقدم نجد أن ما ذكره ابن شداد ينبي عن خطورة هذه المهمة التي كلف بها إلى بغداد وخاصة في هذه الظروف الصعبة والصليبيون يهددون عكا ويحاولون السيطرة عليها.

وفي سنة(588هـ/ 1192م) هم الصليبيون بمهاجمة القدس لاسترجاعها من المسلمين فقرر صلاح الدين البقاء قي القدس والدفاع عنها، وهيأ القدس وحصنها وقسم أسوارها على أمرائه وجهزهم بما يحتاجون إليه للمقاومة وقام بإفساد مصادر المياه المحيطة بالمدينة لكي لا يجد العدو ما يشرب في حالة الهجوم عليه، وعقد اجتماعا للتشاور وطلب من القاضي ابن شداد أن يفتح الجلسة، يقول ابن شداد: فأمرني أن أحثهم على الجهاد، فذكرت ما يسر الله تعالى، وقلت "إن النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد به الأمر بايع الصحابة على الموت في لقاء

---

178 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 178.

179 القنا: يقنو،اقن، قنوا، قنا لون الشيء: اشتدت حمرته، كان أحمر قانياً، قنا جمع: "نت "جنس زهرة من فصيلة القنوات ومن وحيدات الفلقة ساقه قوية، أوراقه كبيرة بيضوية، أحمد مختار عمر، معجم *اللغة العربية المعاصرة*، ط1،(القاهرة: عالم الكتب، 2008م، مج1، 1865.

180 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 178-189 ؛ ابن واصل، *مفرج الكروب*، 2/ 310 ؛ زكار، *الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية*، 22/ 505.

العدو، ونحن أولى من تأسى به– صلى الله عليه وسلم، نجتمع عند الصخرة ونتحالف على الموت".[181]

وكان له دور بارز في ضم الموصل تحت قيادة صلاح الدين وذلك عندما رفض أميرها شرف الدين التعاون مع صلاح الدين مما جعل صلاح الدين يأخذها عنوة بعد ما مهد له ابن شداد الطريق فيقول ابن شداد:" فسيرت رسولا إلى بغداد وأتيت بغداد في يومين وساعتين مستنجدا بهم"[182].

3.4.2. دور ابن شداد في عهد أبناء صلاح الدين:

واستمر القاضي ابن شداد في دوره القيادي في الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين وواصل مسيرته بمساندة أبناء صلاح الدين وتأييده لهم ونصحهم لتخطي العقبات التي تعترضهم، فقد بقي ابن شداد بدمشق مع الملك الأفضل يشاوره في الأمور الهامة ويعتمد عليه، وكان له دور كبير في فض منازعات البيت الأيوبي حيث كان يخشى عليهم من أطماع الأعداء فيهم، وقام بفض المنازعات بين العزيز عثمان صاحب مصر والملك العادل من جانب والملك الأفضل من جانب آخر[183].

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي توجه ابن شداد إلى حلب سنة (591هـ/ 1194م) حيث عينه الملك الظاهر غياث الدين غازي بن صلاح الدين وزيرا وقاضيا له وصار أقرب الناس إليه منزلة[184]، وحاول ابن شداد جمع كلمة الأخوة حيث تنقل لأجل ذلك من حلب إلى القاهرة

---

181 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 321؛ محمد زاهد أبو غدة، *حدث في الرابع عشر من صفر وفاة القاضي بهاء الدين، رابطة العلماء السوريين*، 2019م.

182 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 102 ؛ ابن واصل، *مفرج الكروب*، 2/ 122.

183 نظير حسان سعداوى، *المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي*، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1962م)، 16 ؛ جمال فوزي محمد عمار، *التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية*، ط1،(القاهرة: دار القاهرة, 2001م)، 271.

184 أبي شامة، *الروضتين*، 66؛ منذر الحايك، *العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية*، ط1،(دمشق: الأوائل للنشر، 2006م)،1/ 65.

أكثر من مرة سعيا وراء الإصلاح، وبقي في حلب أيام الظاهر وابنه العزيز، فقام ابن شداد بترتيب أمور حلب وتنظيمها وجمع بها الفقهاء واهتم ببناء المدارس حيث بنيت الكثير من المدارس حتى أصبحت حلب مقصد العلماء من البلاد المختلفة،[185]فبنى ابن شداد المدرسة الصالحية للشافعية وكانت تقع أمام مدرسة نور الدين زنكي، وأيضا عمر في جوارها مدرسة للحديث النبوي ظلت مجمع الأهل الحديث يسكنون بها، وبنى بالقرب منها دارا للصوفية عرفت باسم" الخانقاه البهائية"[186]

وبقيت حلب طيلة العهد الأيوبيين منارة للعلم يقصدها الطلاب من أنحاء شتى بفضل الجهود العلمية التي نهض بها ابن شداد فيذكر ابن خلكان أنه التحق بالمدرسة التي أنشأها ابن شداد هو وأخوه وكان ابن شداد يدرس فيها بنفسه.[187]

وفاته:

يذكر أبو شامة وفاته قائلا: " توفي القاضي بهاد الدين بن شداد بحلب سنة ثمان وعشرين وستمائة، وكنت قد اجتمعت بابن شداد بدمشق وأجاز لي جميع ما يرويه، ثم سمعت عليه بمصر وعند قبة الشافعي رحمه الله تعالى"،[188]كان رحمه الله عالما فاضلا دينا محسنا إلى كل من يرد إلى حلب من الفقهاء وأهل العلم[189]، وكان ابن شداد جامعا للمحاسن فقد كان إماما، تقيا، فقيها، قاضيا، خطيبا، سفيرا، حسن المحاضرة، جميل المذاكرة.

---

185 ابن شداد، *النوادر السلطانية*، 7-8 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 7/ 89.

186 عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، *التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد*، ط2، (القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م)، 242.

187 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 7/ 89.

188 أبي شامة، *تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين*، ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م)، 248.

189 ابن واصل، *مفروج الكروب في أخبار بنى أيوب*، تح: حسين محمد ربيع، راج: سعيد عبد الفتاح عاشور، (كلية الآداب، جامعة القاهرة)،5/ 91.

ونستخلص مما سبق أن ابن شداد قد أوكلت له الكثير من المهام ليس لكونه قاضيا للعسكر فقط، بل ظهر كمرافق وخادم شخصي للسلطان وأحيانا مستشارا خاصا له وظهر كسفير يوفده السلطان للحكام والأمراء نيابة عنه وأيضا رئيسا للإيوان السلطاني وظهوره كجندي في ساحات القتال وأيضا ظهر كقائد عسكري عندما خرج على رأس جيش لفتح قلعة يافا وظهر واعظا وموجها سياسيا لدى الأمراء والحكام إضافة لكونه صديقا حميما وشخصيا لصلاح الدين، وقد تمكن من تمهيد سبل التقدم لدى صلاح الدين منذ أن اتصل به.

5.2.عز الدين ابن الأثير مكانته وكتبه (555-630هـ/ 1160- 1232م):

المولد والنشأة:

هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الشهير بابن الأثير الجزري[190]، الملقب بعز الدين، ولد ابن في 4جمادى الآخر سنة (555هـ/1160م) في جزيرة ابن عمر وإليها انتسب[191] وفي سنة(576هـ/1180م) انتقل مع عائلته إلى الموصل، واعتنى أبوه بتعليمه القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وسمع الحديث من أبي الفضل عبد الله بن أحمد وأبي الفرج يحيى الثقفي[192]

درس ابن الأثير في رحلته الطويلة لطلب العلم وملاقاة الشيوخ والأخذ منهم علومَ الحديث والفقه والأصول والفرائض والمنطق والقراءات، غير أنه اختار فرعين من العلوم وتعمق في دراستها هما الحديث والتاريخ حتى أصبح إماماً في حفظ الحديث حافظا للتواريخ المتقدمة

190 ابن الأثير، *التاريخ الباهر*، 7؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 3/ 348.

191 ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط1، (بيروت: دار ابن كثير، 1986م، مج1)، 52؛ الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، ط2، (مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، د.ت)،4/ 185.

192 أبي شامة، *الروضتين*، 68؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 3/ 348.

والمتأخرة، عارفاً بأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم،[193] ويتمتع بمكانة رفيعة عند معاصريه وكان بيته مأوى لطلبة العلم ومجمع الفضلاء وأصحاب الحديث، وقد كون لنفسه مكانة ممتازة في الشام بسبب تردده عليها ونتج عن أسفاره عقد صداقات مع علماء الشام وأبناء الأسرة الأيوبية فنال شهرة واسعة[194].

وصنف عدة كتب أهمها: الكامل في التاريخ، وكتاب" الباهر في الدولة الأتابكية"، فيعد مصدراً رئيساً لتاريخ أسرة زنكي، أرخ فيه لملوك الموصل منذ أن أسس عماد الدين دولته سنة (521هـ- 1127م) حتى سنة (607هـ- 1211م)، وكتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة، واللباب في تهذيب الأنساب[195].

وكتاب الكامل في التاريخ له أهمية خاصة حيث يعد الكتاب الوحيد الذي دون أخبار العالم الإسلامي مشرقه ومغربه على مدى سبعة قرون وربع قرن، إضافة إلى استكمال ما توقف عنده الطبري من أحداث، وله أهمية أخرى فيعد الكتاب الوحيد الذي تضمن أخبار الحروب الصليبية منذ دخولهم لشام في سنة 491-628هـ/ 1097-1230م كذلك تضمن أخبار الزحف المغولي على المشرق الإسلامي منذ بدايته حتى سنة 628هـ/ 1230م وهي السنة التي ينتهي بها الكتاب،[196]وتناول في كتابه تاريخ الزنكيين منذ ولاية آق سنقر والد عماد الدين زنكي إلى عهد السلطان مسعود 477- 607هـ/ 1084-1210م، ذكر في هذا الكتاب فضل أسرة الزنكي وعبر عن وفائه لهذه الأسرة وحوى الكتاب معلومات قيمة عن سيرة عماد الدين زنكي، وأخبار نور الدين محمود وجهاده للصليبين، كما مدنا بمعلومات هامة على نظام

193 ابن الأثير، *التاريخ الباهر*، 13؛ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي، *طبقات علماء الحديث*، تح: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، ط2،(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996م)،4/ 181.

194 طليمات، *ابن الأثير الجزري*، 25.

195 مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، (لبنان: دار إحياء التراث العربي، د.ت، مج 1)، 82 ؛ السبكي، *طبقات الشافعية*،5/ 127.

196 أبي شامة، *الروضتين*، 69؛ شاكر مصطفى، *التاريخ العربي والمؤرخون "دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام"*، ط1،(بيروت: دار العلم للملايين،1979م)،2/ 112.

الجيش وفرقه وأساليب القتال ونظام الإقطاع في عهد هذه الأسرة وعن سياسية زنكي في الموصل وجزيرة ابن عمر[197].

يتبين مما سبق أن منهج ابن الأثير في الكتابة كان شمولياً لجوانب الحياة المختلفة، مما يدل على سعة ثقافته وتمكنه في كتابته للتاريخ.

1.5.2. دور ابن الأثير في الجهاد ضد الصليبيين:

يتبين لنا من خلال كتاب الكامل قرب ابن الأثير من صلاح الدين وحرصه على تدوين الأحداث فكان شاهد عيان، فيخرج مع صلاح الدين في غزواته لقتال الصليبين ويسجل أحداث المعارك فيدونها في كتابه الكامل[198].

كانت الحروب الصليبية أهم حدث عاصره ابن الأثير وأرخ له، ففي سنة (584هـ/1188م) شارك صلاح الدين في جهاده ضد الصليبين، فسار حتى نزل تحت حصن[199] الأكراد فأقاموا يومين، يذكر لنا ابن الأثير وجوده بين عسكر السلطان فيقول" وكنت حينئذ بالشام في عسكر صلاح الدين، يريد الغزاة، ودخل إلى الأراضي التي استولوا عليها في الشام، فأغار على العريمة وصافيتا وغيرها من الولايات، ثم رجع إلى معسكره وغنم غنائم كثيرة من الدواب ما لا يحصى"[200]، كما اشتهر أيضاً بقيامه ببعض المهام السياسية لصاحب

197 ابن الأثير، *التاريخ الباهر*، 16؛ ادورد فنديك، *اكتفاء القنوع بما هو مطبوع*، صححه: محمد علي الببلاوي، (مصر: مطبعة الهلال، 1896م)، 73.

198 عبد القادر أحمد طليمات، *ابن الأثير الجزري المؤرخ*،(مصر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1969م)، 28.

199 حصن الأكراد: هو حصن منيع حصين على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان، وهو بين بعلبك وحمص، وكان بعض أمراء الشام قد بني في موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج ، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج2، 264.

200 ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مج10، 166- 167.

الموصل ومصاحبته صلاح الدين في غزواته ضد الصليبين وحضوره فتح برزية[201] وغيرها.[202]

بعد أن فتح صلاح الدين قلعة الشغر،[203] سار السلطان إلى قلعة برزية وبرفقته ابن الأثير فقال: "كنت مع السلطان في مسيره وفتحه هذه البلاد"[204]، فنازلها في الرابع والعشرين من جمادى الأخيرة ونصب المجانيق ولكن لم تصل لبعد القلعة وعلوها فرجع إلى المزاحفة وقسم صلاح الدين عسكره ثلاثة أقسام فإذا تعب القسم الأول عادوا وزحف القسم الثاني فإن تعبوا عادوا وزحف القسم الثالث، وداومها بالزحف، ورماهم المسلمون بالسهام من وراء الجنويات ومشوا إليهم حتى قربوا إلى الجبل وكان الحر شديداً فاشتد الكرب على الناس وصلاح الدين يطوف على العساكر ويحرضهم على القتال، حتى اشتد الأمر على الصليبين، فظهر عجزهم عن القتال وضعفوا عن حمل السلاح لشدة الحر والقتال، فدخل المسلمون معهم إلى الحصن و لما سمعوا تكبير المسلمين في نواحي القلعة ظن الصليبيون أن المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا ووقعوا في الأسر، فملكها المسلمون ونهبوا ما فيها وأسروا وسبوا من فيها[205]، وملكها في السابع والعشرين من جمادى الآخر، ثم سار صلاح الدين فنزل على جسر الحديد بالقرب من أنطاكية، فأقام عليه أياما لحين التحق به العسكر، وسار بعدها إلى دربساك فحاصرها وضايقها وتسلمها بالأمان على شرط ألا يخرج منها أحد إلا بثيابه فقط.[206]

---

201 برزية: حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق، يضرب بها المثل في جميع بلاد الإفرنج بالحصانة، تحيط بها أودية من جميع جوانبها، وذرعُ عُلو قلعتها خمسمائة وسبعون ذراعاً، كانت بيد الإفرنج حتى فتحها الملك الناصر صلاح الدين في سنة 584ه/ 1188م ، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج1،383.

202 طليمات، *ابن الأثير الجزري*، 28.

203 قلعة الشُغر: بضم أوله وسكون ثانيه وآخره راء، وهي قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق لهما كل واحدة تناوح الأخرى، وهما قرب أنطاكية. ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج3، 352.

204 ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مج10، 171.

205 ابن خلدون ، *تاريخ ابن خلدون*، 5/ 367؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مج10، 172.

206 أبي الفدا، *المختصر في أخبار البشر*، 3/ 96.

وهكذا كان ابن الأثير يرافق صلاح الدين في غزواته فيدون أحداثها في كتابه الكامل في التاريخ شاهداً عيانا.

6.2. ضياء الدين ابن الأثير مكانته ومؤلفاته: (558- 637هـ/ 1163-1239م)

هو أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الملقب بضياء الدين، ولد بجزيرة ابن عمر ونشأ بها[207]، ثم انتقل مع والده إلى الموصل في رجب سنة 579هـ واستكمل فيها معارفه بدءا بحفظ القرآن الكريم وشيئ جليل من الأحاديث النبوية وتفقه في علوم الدين، وكان محفوظه من الشعر العربي شيئا لا يحصى، فأخرجت لنا هذه العلوم والمعارف عالماً جلياً من علماء البلاغة وناقداً أدبياً من طراز رفيع[208] وكان له من الأخوة مجد الدين المبارك صاحب كتاب" جامع الأصول في أحاديث الرسول"، وعز الدين ابن الأثير صاحب كتاب "الكامل في التاريخ"،[209] له تصانيف كثيرة منها: "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" وهو كتاب في علم البيان، لم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره، وكتاب " الوشي المرقوم في حل المنظوم" وكتاب "المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء"[210].

مهام ضياء الدين ابن الأثير في الدولة ودوره في الجهاد ضد الصليبيين:

شغل الكثير من المناصب السياسية، كالتحاقه بخدمة صلاح الدين في سنة (587هـ/ 1191م) وظل في خدمة صلاح الدين فترة وجيزة[211]حتى أرسل الملك الأفضل إلى أبيه صلاح

207الأسنوي، *طبقات الشافعية*، 1/ 71؛ أبي طالب علي بن أنجب تاج الدين ابن الساعي، *الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير*، تعليق: مصطفى جواد،(بغداد: المطبعة السريانية الكاثوليكية، 1934م)،9/ 299.

208 قطب الدين موسى بن محمد اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ط1، (دار المعارف، د.م، 1954م)،1/ 65 ؛ نوري حمودي القيسي، هلال ناجي، *رسائل ابن الأثير*، (جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر د.ت)، 4.

209 الذهبي، *العبر*، 3/ 231؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 5/ 389.

210 القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد*، 352؛ ابن الوردي، *تاريخ ابن الوردي*، 2/ 106.

211 كارل بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، تر: رمضان عبد التواب، مر: يعقوب بكر، ط2، (القاهرة: دار المعارف، 1977م)،5/ 271 .

الدين يطلب منه إرسال ابن الأثير إليه فخيره صلاح الدين بين الإقامة عنده وأن ينتقل إلى خدمة ولده فاختار ولده، فمضى إلى ولده الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين، واستقل بالوزارة وأصبح صاحب ديوان الإنشاء في دولة صلاح الدين، واعتمد عليه في جميع الأمور[212]، لازم ضياء الدين الملك الأفضل طيلة فترة نيابته على دمشق، فقد حضر معه أول موطن حرب في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة هجرية عند بحيرة طبرية، وخرج معه في مواجهة الصليبين في الشام[213].

كان له دور في مواجهة الصليبين في مدينة يافا سنة 588ه/ 1192م، عندما كانت جيوش السلطان تقف متربصة بجيوش الصليبين على الساحل قرب يافا وغيرهم من الثغور وكان ضياء الدين بأرض فلسطين قبالة العدو فتقابل الفريقان ودارت معركة بين قوات السلطان والصليبين بقيادة ريتشارد الأول ملك إنكلترا، بعدها تمكن صلاح الدين والملك ريتشارد من الدخول في مفاوضات وعقدت هدنة بين الفريقين في تلك السنة ثم عاد السلطان والملك الأفضل وضياء الدين وكبار رجال الدولة إلى دمشق[214].

دامت ملازمته للملك الأفضل إلى أن مرض الناصر صلاح الدين بحمى صفراوية واحتد المرض حتى توفي بقلعة دمشق سنة 589هـ/ 1193م وبعد وفاة صلاح الدين تولى من بعده الأفضل، وكان شابا يملؤه الغرور والطيش وسرعان ما أفلتت من يديه زمام الأمور وانفض الناس من حوله، فتمكن ضياء الدين من التحكم وقبض على أزمة السلطة في دمشق[215] ،

---

212 ابن واصل، *مفرج الكروب*، 3/ 10؛ ضياء الدين بن الأثير، *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، علق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ، د.ت)، 27.

213 محمد زغلول سلام، *ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد*،(القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ، د.ت)، 38.

214 سلام، *ضياء الدين بن الأثير*، 38.

215 ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، *الوشي المرقوم في حل المنظوم*، تح: يحيى عبد العظيم، تقديم: عبد الحكيم راضي، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004م)، 47.

وبعدها اتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب، ولم يطل مقامه عنده، ومن ثم عاد إلى الموصل وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود.[216]

وألف ضياء الدين بن الأثير مؤلفاته كلها خلال إقامته بالموصل، وحملت كتبه شهرته وسار ذكره في جميع البلاد الإسلامية، فتوافد عليه الطلاب وذهب إليه من العلماء الكثير منهم ابن الساعي صاحب الجامع المختصر في التاريخ، وخلال إقامته في الموصل كان يراسله بدر الدين لؤلؤ زعيم الموصل في سفرات إلى خارج الموصل رسولا عنه، حتى جاءت سنة 637هـ / 1239م فأرسل مبعوثا إلى الخليفة في بغداد، فوافته المنية بها.[217]

وفاته:

كان عالما فاضلا متفننا في علم الكتاب، مرض ببغداد ومات في إحدى الجمادين سنة سبع وثلاثين وستمائة، ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي.[218]

خلاصة:

وهكذا نجد أن دور العلماء لم يقتصر على حث الناس والسلاطين على الجهاد من خلال الخطب وتأليف الكتب والمصنفات فحسب، بل تعدى هذا إلى المشاركة في ساحات القتال وقيادة المعارك والوقوف إلى جانب القادة العسكريين وبث الحماس الجهادي لدى المقاتلين في وسط المعركة من خلال بيان عظمة الشهادة في سبيل الله وتذكريهم بفتوحات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين.

---

216 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 5/ 390.

217 ابن واصل، *مفرج الكروب*، 4/ 198؛ ابن الأثير، *الوشي المرقوم*، 93 ؛ سلام، *ضياء الدين بن الأثير*، 51.

218 كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق ابن الفوطي، *الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة*، (بغداد: المكتبة العربية، 1351هـ)، 136؛ محمد بن علي المحمودي ابن الصابوني، *تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب*، تح: مصطفى جواد،(العراق: المجمع العلمي العراقي،1957م)، 5.

الفصل الثالث

المواقف السياسية والفكرية لعلماء المسلمين في الجزيرة الفراتية من الغزو الصليبي ودورهم الجهادي:

برز لعلماء الجزيرة الفراتية عدة مواقف من الغزو الصليبي، وساهموا بالمهام السياسية، فقاموا بدور السفراء والرسل بين السلاطين المسلمين في البلاد الإسلامية.

ومن الأسر التي كان لها شأن عظيم في مجالات العلم والفقه والسياسية في تلك الفترة، الأسرة الشهرزورية التي تنتسب إلى القاسم بن الشهرزوري جد الشهرزوي[219]، فقد اعتمد الملوك الزنكيون في أجهزة الدولة على علماء ثقاة ممن اشتهروا بعلمهم الواسع، ومن هؤلاء العلماء الذين اشتهروا في ميدان القضاء في العهد الزنكي:

1.3.القاضي كمال الدين الشهرزوري: (492هـ-572هـ/ 1099- 1176م)

أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي أحمد القاسم الشهرزوري[220]، ولد بالموصل سنة (492هـ/ 1099م)، من كبار فقهاء الشافعية، كثير الصدقة والمعروف، وقف

---

219 أبو أحمد القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري، وهو جد بيت الشهرزوري قضاة الشام والموصل والجزيرة، كان حاكما بمدينة إربل وسنجار، وكان له من أولاده وحفدته علماء نجباء تقدموا عند الملوك وخصوصا حفيده كمال الدين ومحيي الدين، توفي القاسم بالموصل سنة 489هـ/ 1095م. ابن خلكان، *وفيات الأعيان*،4/ 68.

220 محمد بن سعيد بن محمد ابن الدبيثي، *المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله*، تح: مصطفى جواد،(بغداد: مطبعة المعارف، 1951م)، 55 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 4/ 241.

أوقافا كثيرة ببلاد شتى منها مدرسته بالموصل، ومدرسة بنصيبين، ورابط بالمدينة النبوية[221]، تفقه ببغداد وعاد إلى الموصل فولي قضاءها واستطاع أن ينال إعجاب حكامها من الزنكيين.[222]

المساهمات التي قام بها في عهد عماد الدين زنكي:

ظهر نشاطه في الموصل سنة (530هـ/ 1136م) في فترة الصراع الذي حدث بين الخليفة العباسي الراشد بالله والسلطان السلجوقي مسعود لفرض سيطرته على الخليفة العباسي عندما طلب منه استرداد مبلغ أربعمائة ألف دينار ولكن الراشد رفض وقال ليس بيننا وبينكم إلا السيف، وعندئذ خرج السلطان مسعود على رأس جيش وحاصر بغداد حتى ضاق الأمر على من بها،[223] فاضطر عماد الدين زنكي ومعه الخليفة العباسي للانسحاب إلى الموصل وهذا ما مهد الطريق لدخول السلطان السلجوقي بغداد وقاموا بمحضر شهود بمبايعة المقتفي لأمر الله بالخلافة وخلع الخليفة العباسي الراشد، فلما علم عماد الدين ذلك أرسل القاضي كمال الدين مندوبا عنه إلى بغداد، وعند دخول ديوان الخليفة طلب منه مبايعة المقتفي ولكنه رفض قائلا:" إن أمير المؤمنين عندنا بالموصل وقد بايعناه نحن وأنتم والناس قاطبة في شرق الأرض وغربها، وقد علمتم ما قيل في من يبايع آخر" وأنا فقيه لا يجوز لي فعل ما ينافي الشرع[224]، فقام الشهود وشهدوا عند القاضي كمال الدين بما يوجب خلع الخليفة الراشد، ووافقوا على ذلك وقام الخليفة المقتفي بمنح بعض المواقع الهامة في العراق لعماد الدين زنكي، وهذه المرة الأولى التي يسمح بها لأحد زعماء الأطراف أن يملك في العراق إقطاعا[225].

---

221 الأسنوي" عبد الرحيم الأسنوي(جمال الدين)، *طبقات الشافعية*، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م)،2/ 18؛ أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، ط2،(بيروت: دار الميسيرة، 1979م، ج4)، 243؛ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تح: بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، ط11، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996م)،21/ 59.

222 السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*،6/ 118.

223 ابن واصل، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*،1/ 68؛ نقلي، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين*، 108.

224 ابن الأثير، *التاريخ الباهر*، 54 ؛ ابن واصل، *مفرج الكروب*، 1/ 69.

225 ابن واصل، *مفرج الكروب*، 1/ 69؛ الصرفي، *تاريخ دول الإسلام*،2/ 182.

ويتضح لنا مما تقدم مكانة القاضي الشهرزوري عند عماد الدين زنكي، والثقة التي كان يتمتع بها، فتلك المهمة التي قام بها كرسول من قبل عماد الدين زنكي تعتبر من المهام الصعبة التي تحتاج إلى اللباقة في الحديث وقوة الشخصية والحكمة وبعد النظر وتلك الصفات اجتمعت في القاضي الشهرزوري، فتمكن من إتمام مهمته بنجاح كبير وغنم بإقطاع عظيم لعماد الدين زنكي.

الشهرزوري رسولا لعماد الدين زنكي:

ومن السفارات الهامة التي قام بها القاضي كمال الدين تلك التي توجه فيها بتوجيه من عماد الدين زنكي في سنة(532هـ/ 1138م) إلى السلطان مسعود السلجوقي والخليفة العباسي المقتفي لأمر بالله في بغداد كي يرسل جيشا عماد الدين زنكي لصد الهجوم الذي قام به الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين والصليبيون على حلب وغيرها من مدن الشام[226]، حيث قام القاضي الشهرزوري بإبلاغ السلطان مسعود بخطورة الموقف، وخوفه من أن يملك الروم حلب وبعدها يتجهون إلى بغداد، ولما رأى القاضي الشهرزوري أن السلطان قد تباطأ في تجهيز الجيش للخروج للجهاد، قام بحيلة ذكية فحرض أحد الفقهاء وأمره بجمع الناس أثناء صلاة الجمعة وأن يصيحوا بأصوات عالية ويخلعوا عمائمهم ويشقوا ثيابهم وصاحوا بصوت واحد" وا إسلاماه : وا دين محمداه"[227] فبكى الناس وتركوا الصلاة وساروا إلى دار السلطان يستغيثون، وعندما علم السلطان بذلك طلب مقابلة القاضي وطلب منه أن يهدئ الناس ويبلغهم موافقته على تجهيز العسكر للخروج للجهاد، وجهز السلطان العساكر بالفعل ليصحبوا القاضي إلى بلاد الشام، ولكن وصلت الأخبار من عماد الدين برحيل الإمبراطور البيزنطي ولا داعي لوصول العسكر من بغداد، فقام القاضي بإبلاغ السلطان حتى أقنعه بعدم الخروج فعاد العسكر على الرغم من رغبة السلطان الشديدة في دخول العساكر إلى الشام، ويوضح القاضي في كلامه أن إصرار السلطان على ذهاب العسكر إلى الشام من أجل أن يملكها[228]، وبهذا استطاع القاضي

226 أبي الشامة، *الروضتين*، 35؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مج 9، 303.

227 ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مج 9، 303.

228 ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مج 9، 303؛ ابن واصل، *مفرج الكروب*، 1/ 80.

أن يكشف مكنون نفس السلطان مسعود، وبحسن تصرفه أنقذ عماد الدين من هذا المأزق الخطير.

وعندما تولى نور الدين زنكي أمر المسلمين في حلب بعد وفاة والده عماد الدين، سار على نهج أبيه في احترامه للعلماء فبلغت مكانتهم درجة عالية القدر، واستمر القاضي كمال الدين في تأدية واجبه، وكان ناصحا أمينا لنور الدين[229].

علاقته مع نور الدين زنكي:

تولى قضاء الموصل وبنى فيها مدرسة للشافعية، وكان يتردد إلى بغداد وخرسان سفيراً من الزنكيين[230]، توجه رسولا من قبل نور الدين إلى الخليفة المستضي يطلب منه تقليداً بما في يده من البلاد(الشام والموصل والجزيرة ومصر) فأكرمه الخليفة وأجابه إلى ما التمسه، [231]، ثم وفد إلى دمشق فولاه نور الدين زنكي الحكم فيها وارتقى إلى درجة الوزارة سنة 550ه/ 1155م وأصبحت كل أمور الدولة مرجعها إليه،[232]وكانت له مشاركة فعالة في تشجيع التعليم ونشره في الموصل وبلاد الشام، ولم يكتف بمهامه القضائية بل كان يملك نزعة متأصلة في البناء والتعمير فقد أشرف بنفسه على بناء أسوار دمشق ومدارسها، وأولى عناية خاصة بإعمار الجامع الأموي والإنفاق عليه[233]،ولما توفي نور الدين وملك صلاح الدين دمشق في سنة 570هـ/ 1175م أقره على ما كان عليه وأكرمه واستشاره.

---

229 ابن واصل، *مفرج الكروب*، 1/ 281.

230 ابن كثير، *البداية والنهاية*، 12/ 296؛ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ط2، (دار فرانز شتاينرب قيسباون، 1974م، د.م)،3/ 331.

231 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 4/ 242؛ الصلابي، *نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره*، ط1، (القاهرة: مؤسسة اقرأ، 2007م)، 100.

232 خير الدين الزركلي، *الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)*، ط15،(بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)،6/ 231.

233 الصلابي، *نور الدين محمود زنكي*، 83.

وفاته: كان فقيهاً أديباً شاعراً كاتباً، إضافة إلى شهرته في السياسة وأصول الحكم فقد كان كثير الصدقة، وعظيم الرياسة، خبيرا بتدبير الملك، توفي سنة 572هـ / 1176م ودفن بجبل قاسيون[234]

ومما تقدم نجد أن القاضي كمال الدين كان من السفراء المهمين الذي قام بمهمة السفارة بين الدولة الزنكية والخلافة العباسية ليستجد ضد الصليبين إضافة إلى دوره الكبير في مجال القضاء والسياسة والإدارة.

ومن علماء الشافعية البارزين في العهد الزنكي:

2.3. شرف الدين ابن أبي عصرون مكانته ومؤلفاته:(492- 585هـ/ 1099- 1189م):

وكان من أشهر القضاة الذين اعتمد عليهم نور الدين في أجهزته القضائية[235]، والموصوف بأنه أفقه أهل عصره عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن أبي عصرون شيخ الإسلام، الملقب شرف الدين،[236]ولد سنة (492ه/ 1099م) بالموصل ودرس بها، رحل في طلب العلم إلى بلدان شتى، وصنف كتبا كثيرة في الفقه والمذاهب منها صفوة المذهب في نهاية المطلب في سبع مجلدات، الانتصار في أربع مجلدات، ودرس على يديه عدد كبير من الطلاب وانتفعوا به.[237]

تولى في عهد نور الدين قضاء سنجار وحران ونصيبين والخابور، وكان ينوب عنه في سائر المدن[238] وباشر التدريس بالمدرسة الغزالية في أيام نور الدين، وانتقل بعدها إلى حلب

---

234 الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 3/ 331؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 4/ 242.

235 الذهبي، *العبر في خبر من غبر*، ط1، (لبنان: دار الكتب العلمية، 1985م)،3/ 90؛ الصلابي، *الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي*، ط1، (لبنان: دار المعرفة، 2007م)، 235.

236 ابن كثير، *البداية والنهاية*، 12/ 333؛ الذهبي، *طبقات القراء*، تح: أحمد خان، ط1، (د.م، 1997م)،1/ 859؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، مج3، 53.

237 السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*،7/ 132؛ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*،21/ 127.

238 أبي شامة، *الروضتين*، 2/ 174؛ الذهبي، *العبر*، 3/ 90.

وقام بالإشراف على بناء المدارس بحلب وحماة وحمص، وبنى في دمشق مدرسة سميت المدرسة العصرونية،[239] كلف بأعمال مهمة وبعث رسولا في سنة (567هـ/ 1170م) إلى الخليفة المستضيء في بغداد، بعدها قدم إلى دمشق في أيام صلاح الدين فولاه قضاء دمشق[240].

عبد الله بن أبي عصرون وصلاح الدين الأيوبي:

تعرف صلاح الدين على عبدالله بن أبي عصرون أيام نور الدين محمود زنكي، فكلاهما نشأ تحت رعايته وخاصة صلاح الدين، وبعد وفاة نور الدين وقف ضد الأمراء الذين عملوا على معاداة صلاح الدين وضد قدومه إلى بلاد الشام لذلك عينه صلاح الدين قاضيا على مصر[241]، لكنه لم يمكث طويلا بل عاد إلى دمشق وكان بها صلاح الدين، فاقتضى به صلاح الدين وولاه القضاء في جميع ممالك بلاد الشام التي كانت خاضعة لصلاح الدين, وقد مال صلاح الدين لتعيين ابن أبي عصرون على القضاء لقوة شخصية ابن أبي عصرون ومكانته كشيخ للمذهب الشافعي، وكانت علاقاتهما على درجة كبيرة من المتانة وكان ابن أبي عصرون هو الذي تولى الإشراف على تزويج صلاح الدين بالخاتون عصمة بنت الأمير معين الدين.[242]

1.2.3. حملة البشارة إلى الخلافة العباسية:

من المهام التي قام بها القاضي شرف الدين ابن أبي عصرون حمل البشارة إلى الخليفة في بغداد سنة (567هـ/ 1171م)[243]،عندما قطع صلاح الدين الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد،

---

239 ابن العديم، *زبدة الحلب من تاريخ حلب*332؛ ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط3،(الإمارات العربية المتحدة: دار القلم،2002م)، 268.

240 ابن كثير، *البداية والنهاية*، 12/ 333؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 4/ 283.

241 المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 1/ 168؛ الصلابي، *صلاح الدين الأيوبي*، 326.

242 ابن تغري، *النجوم الزاهرة*، 6/ 109؛ البنداري، *سنا البرق الشامي* ، 112؛ الصلابي، *صلاح الدين*، 327.

243 بدر الدين أبو محمود بن أحمد بن موسى العيني، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*، تح: محمود رزق محمود، ط2، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2010م)،1/ 71.

وإقامتها للخليفة العباسي، وكتب نسخة من هذه البشارة تقرأ بكل مدينة كان يمر بها، ولم يترك مدينة إلا دخلتها هذه البشرى[244].

وهكذا ظل شرف الدين ابن أبي عصرون مشاركا في الحياة السياسية بآرائه وعلمه، وسفيرا لصلاح الدين إلى الخليفة في بغداد حتى كانت معركة حطين سنة (583هـ/ 1187م) والتي شارك فيها مع صلاح الدين[245] .

وكان من العلماء الذين شهد له البيت الأيوبي بامتلاكهم شخصية متميزة متكاملة الجوانب كان لها أثرها في مجال القضاء والسياسة والإدارة والسفارة مما أهله لتولي أرقى المناصب.

وفاته: كف بصره في آخر عمره قبل موته بعشر سنين، ومات شرف الدين ابن أبي عصرون سنة (585هـ/ 1189م) بدمشق، كان إماما فاضلا مصنفا، ومن أعيان الأمة وأعلامها[246].

ومن العلماء الذين شارك بمهمة السفارة بين الدولة الزنكية والخلافة العباسية:

3.3.الشيخ عماد الدين بن يونس:(535-608هـ/ 1140-1211م)

هو أبو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة، ولد بقلعة إربل سنة 535هـ/ 1140م، وتفقه بالموصل على والده ثم رحل إلى بغداد وتفقه بها على أبي المحاسن بن بندار وسمع الحديث من أبي حامد الغرناطي، وعاد إلى الموصل ودرس بها[247]، كان إمام وقته في المذهب الشافعي والأصول، وقصده الفقهاء من البلاد الشاسعة للدراسة عليه، وتخرج عنده خلق كثير.

---

244 أبي شامة، *الروضتين*، 2/ 203.

245 سبط ابن الجوزي، *مرآة الزمان*، 8/ 252.

246 ابن تغري، *النجوم الزاهرة*، 6/ 109؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 1/ 216؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 12/ 42.

247 السبكي، *طبقات الشافعية*، 5/ 45.

وله مصنفات في المذهب منها كتاب" المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط" وشرح " الوجيز" للغزالي.[248]

الدور السياسي للشيخ عماد الدين:

قام بمهمة السفارة بين الزنكيين بالموصل والخلافة العباسية في بغداد عدة مرات، وبين الموصل والدولة الأيوبية في دمشق، فقد تقدم في دولة نور الدين أرسلان شاه تقدما كبيرا، وتوجه عدة مرات إلى بغداد رسولاً عن نور الدين، وإلى الملك العادل، وناظر في ديوان الخلافة.

وكان نور الدين أسلان صاحب الموصل يرجع إليه في الفتاوى ويشاوره في الأمور، وقام أيضا بمهمة التدريس في العديد من مدارس الموصل[249]، كما تولى الشيخ عماد الدين أبو حامد مهمة القضاء في الموصل في فترة حكم الملك نور الدين أرسلان إضافة إلى قيامه بمهمة الخطابة في الجامع المجاهدي، مع التدريس في المدرسة النورية وغيرها من مدارس الموصل[250].

وفاته:

كان شديد الورع والتقشف، لا يمس القلم إلا على وضوء، ولا يلبس الثوب الجديد حتى يغسله، دمث الأخلاق، لطيف الخلوة، توفي يوم الخميس من شهر جمادى الآخرة سنة 608هـ/ 1211م.[251]

---

248 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 4/ 253؛ سعيد الديوه جي، *تاريخ الموصل*،(بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1982م)، 1/ 380.

249 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 4/ 254؛ إبراهيم بن محمد المزيني، *الحياة العلمية في العهد الزنكي*، ط1، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2003م)، 186؛ السبكي، *طبقات الشافعية*، 5/ 45

250 المزيني، *الحياة العلمية*، 189.

251 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 4/ 255.

4.3. الدور الاجتماعي والتوعوي لعدي بن مسافر 467-557هـ/ 1074- 1161م:

التعريف به: هو عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري،[252]ولد في بلاد الشام ببلد يسمى بيت فار في البقاع غربي دمشق سنة 467هـ، ويعتبر من شيوخ الشافعية الأكراد الذين عاشوا[253]في جبال الهكارية[254]، سكن الموصل فترة من الزمن ثم انتقل إلى بلدة ليلش[255]، ترجم له ابن تيمية قائلا:" كان رجلا صالحا، وله أتباع صالحون"[256]، ونقل ابن تيمية عن عبد القادر الجيلاني قوله في حق عدي بن مسافر أنه لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي"[257]وأورد زهير كاظم عن ابن الأثير الذي عاصر الشيخ عدي عندما قال بأن عدي لقب بالهكاري لأنه من هذه المنطقة، ورجل مثل عدي بن مسافر مشهور بالحكمة والفقه والزهد، لا يمكن أن يوقع مؤرخا مثل ابن الأثير في خطأ إلغاء اللقب ما لم يكن على ثقة من كون الشيخ ينتسب إلى منطقة الهكاري،[258]وتنسب إليه الطائفة العدوية، وصحب جماعة كثيرة من المشايخ مثل عبد القاهر السهروردي وعبد القادر الجيلاني وأبي الوفاء الحلواني[259] وانقطع إلى جبال الهكاري وبنيت له زاوية فمال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلا لم يسمع لأرباب الزوايا مثله وتبعه خلق كثير.

---

252 معروف، *عروبة العلماء المنسوبين في بلاد الروم والجزيرة*، 3/ 140.

253 ابن تيمية، *الوصية الكبرى" رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أتباع عدي بن مسافر"*، علق عليها: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، ط1، (السعودية: مكتبة الصديق، 1987م)، 25؛ السرجاني، *قصة الحروب الصليبية*، 224.

254 الهكارية: بالفتح، وتشديد الكاف، وراء، وياء، بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية . ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، (بيروت: دار صادر، 1977م، مج 5، 408).

255 ليلش: قرية في اللحف من أعمال شرقي الموصل ، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج5، 28.

256 ابن تيمية، مجموعة *الفتاوى*، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد،(السعودية: 2004م، مج11)، 103.

257 ابن تيمية، *الوصية الكبرى*، 29.

258 زهير كاظم عبود، *عدي بن مسافر مجدد الديانة الأيزيدية*، 45.

259 ابن كثير، *البداية والنهاية*، (بيروت: مكتبة المعارف، 1991م)، 12/ 243.

وجاوز اعتقادهم فيه الحد حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها[260]وتتلمذ على يده خلق كثير من الأولياء، وساح سنين كثيرة وجاهد أنواعا من المجاهدات[261]، فكان له الدور الاجتماعي الكبير في المجتمع آنذاك وقد عمل على تسهيل الطرق على المسافرين والتجار من قطاع الطرق وإصلاح بعض أرباب الحكم إما لصدقهم في محبته أو لخشيتهم من طاعة الناس له واقتدائهم به[262]ولما وجد أن الدعوة الإسلامية التي انتشرت منذ عهد عمر بن الخطاب لم تؤثر في بعضهم قام بإرشادهم وقد وفقه الله في مسعاه فاجتمع عليه أهل المنطقة ورأوا فيه قدوة صالحة[263].

كان لعدي بن مسافر بصمة في حياة الأيزيدين[264] السياسية والدينية مما قام به من أعمال ومنجزات دينية ولم شمل الملة من الأيزيدين، فقد كانوا غارقين في بحر الجهل والبعد عن الله وكان بعضهم يعتنق المجوسية، فعندما رآهم على هذا الحال قام بإرشادهم، ونشر العلم ومعرفة

---

260 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، مج 3، 254؛ الذهبي، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، (لبنان: دار الكتاب العربي، 1995م)، 231؛ ابن تيمية، *الوصية الكبرى*، 27 ؛ شرف الدين أبي البركات المبارك بن احمد اللخمي ابن المستوفي، *تاريخ إربل*، تح: سامي بن السيد خماس الصقار،(الجمهورية العراقية: دار الرشيد للنشر، 1980م، ج1)، 114؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، 12/ 243.

261 ابن تيمية، *الوصية الكبرى*، 27؛ ابن تغري، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ج5، 362.

262 عمر سليم عبد القادر التل، *متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي دراسة تاريخية*، ط1، (الأردن: دار المأمون للنشر، 2009م)، 99.

263 عدي بن مسافر الأموي الهكاري، *اعتقاد أهل السنة والجماعة، تح: حمدي عبد المجيد السلفي*، تحسين إبراهيم الدوسكي، ط1،(المملكة العربية السعودية: مكتبة الغرباء الأثرية، 1998م)، 8.

264الأيزيدين: يعود أصل الأيزيدين إلى القبائل الكردية (الكورمانجية) وهي قبائل هندوآرية قديمة سكنت جبال زاكروس، وتعني الشمسيين، وقد ثبت في النصوص السومرية أنهم أطلقوا اسم(أومان– ماندا) على سكان جبال زاكروس في نهاية الألف الثالث ق.م، يؤيد ذلك أن كلمة (ايزيدي) وجدت منقوشة بالخط المسماري على أحد النقوش السومرية وتعني الروح الخيرة الطاهرة أو السائرون على الطريق الصحيح، وتمكنت هذه القبائل من تأسيس مملكة" مانا" القديمة في جبال زاكروس والتي قادت الحروب المستمرة ضد الدول العبودية الأولى في ميزوبوتاميا، عايدة محمد بدر، *الطبقات الاجتماعية والدينية للمجتمع الايزيدي*،(القاهرة: جامعة القاهرة، 2018م)، 7.

الحلال والحرام والعقيدة الصحيحة بينهم، وقام بإعادة تنظيم المجتمع الأيزيدي ومهد الطريق لتصير زعامة سياسية قدر لها أن تتطور في العصور اللاحقة[265]، وكان للمدرسة العدوية وفروعها التي أسسها الشيخ عدي بن مسافر في جبال الهكاري دور كبير، فقد شكل خريجو هذه المدارس من الأكراد الهكارية والروادية نواة أمراء الجيش وقادة الفتح ويأتي على رأس هذه الأسر أسرة صلاح الدين الأيوبي[266].

وهكذا نجد بأن عدي بن مسافر كان له دور كبير في محاربة الفساد في المجتمع من البدع والمبتدعين وله الفضل في تقوية أسس الديانة الأيزيدية وفق الضوابط التي حافظت على الموروث الديني والتراث القديم بشكل يناسب تلك الحقبة الزمنية المضطربة من حياة الأيزيدية.

وفاته: عاش 90 عاما أو نحو ذلك وتوفي الشيخ عدي بن مسافر في المحرم سنة 557هـ/ 1161م ببلد الهكاري[267].

واتضحت لنا من خلال هذه الدراسة بأن هؤلاء الصفوة المختارة من العلماء كانوا دائما أحرص الناس على توحيد الجبهة الإسلامية وتماسكها لتستطيع مواجهة الصليبين لذلك كانوا هم أول من يسارع لفض المنازعات التي كانت تقع بين الحكام والأمراء المسلمين من خلال توسطهم الدائم في إصلاح البين وفض الخلافات التي نشأت في الأسرة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي. وهكذا كان للعلماء دور بارز في الحياة العامة في العهد الزنكي والأيوبي، فلم يقتصر أثرهم على الجانب التعليمي، بل تعداه إلى المشاركة في مجالات السياسة الداخلية والخارجية للدولة، والعمل بالمجالات الإدارية والمناصب العليا، إضافة إلى مشاركاتهم في

---

265 محمد نبيل طاهر العمري." *تحقيق القول في عقيدة الشيخ عدي بن مسافر وبيان مدى صلته باليزيدية*"، الجامعة الأردنية، ع.1، (2011م): 126.

266 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 7/ 139.

267 ابن الوردي، *تاريخ ابن الوردي*، 2/ 63 ؛ عباس العزاوى، *تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم*، (بغداد: 1935م)، 29.

تشجيع حركة التعليم وإنشاء المدارس والمكتبات وغيرهم من دور التعليم، فساهموا في إغناء الثقافة العربية الإسلامية بالنتاج العلمي والأدبي.

الفصل الرابع

أوضاع المشرق الإسلامي السياسية والاقتصادية والدينية قبيل الهجوم المغولي

1.4. أوضاع الخلافة العباسية قبيل الغزو المغولي:

في الوقت الذي ظهر فيه الغزو المغول، تحديداً في سنة 615هـ/ 1218م كان هناك أسباب في ظهوره أهمها الحالة التي وصل إليها العالم الإسلامي في ذلك الوقت فكان العالم الإسلامي في حالة كبيرة من الضياع والتشتت، فقد انقسمت بلاد المسلمين إلى مجموعة من الدول والممالك تنظر كل منها إلى الأخرى نظرة عداء،[268] حيث تميز القرن السابع الهجري بأمور عدة منها استمرار الحملات الصليبية على البلاد الإسلامية، وظهور الخطر المغولي وتدميره للدولة العباسية، واستيلاء المماليك على الحكم، انتقال الخلافة العباسية من بغداد إلى مصر وظهور علماء أفذاذ في شتى العلوم كابن تيمية وابن صلاح وغيرهم[269].

1.1.4. الأوضاع السياسية للخلافة العباسية:

فقد كانت الدولة العباسية التي لا تزال في بغداد تستولي جزءا من بلاد العراق يمتد من تكريت إلى الفاو ومن حلوان إلى عانة، واقتصرت سلطة الخليفة على المظهر الديني، ولم يكن فيها للخلفاء سوء اسمهم[270].

---

268 محمد مفيد آل ياسين، *دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني*، ط1،(عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع،2010م)، 11؛ أحمد محمد الداهوك، *دور سلاح الرعب في سياسة المغول العسكرية اتجاه العالم الإسلامي" 615- 658هـ/ 1218- 1260م*"،(غزة: كلية الآداب قسم التاريخ والآثار، رسالة ماجستير،2015م)، 4.

269 إبراهيم محمد العلي، *شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة*، ط1،(دمشق: دار القلم، 2000م)، 22

270 حسن إبراهيم حسن، *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*، ط 14، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1996م)،4/ 129.

أما العالم الإسلامي فقد كان منقسما إلى دويلات انشغل حكامها بالتوسع كل على حساب الآخر، ولم يدرك هؤلاء الأمراء خطر الغزو المغولي إلا بعد أن أغارت جيوشهم الجرارة على الدولة الخوارزمية، وكما لبثت أن امتدت هذه الغارات إلى بلاد الصين وجزء من الهند وتركستان وإيران وأوروبا الشرقية وآسيا الصغرى، ففي بغداد قامت الخلافات بين القادة الذين طلبوا بزيادة رواتبهم وتفاقمت العداوة بين السنة والشيعة،[271] واشتد خطر فيضان نهر دجلة، وتدهورت الحالة الاقتصادية، واختل الأمن، حتى أصبحت نصف أراضي العراق خراباً،[272] إضافة إلى إهمال نظام الري حتى تحولت أجزاء كبيرة من العراق إلى مستنقعات بعد أن كانت عماد ثروة الدولة العباسية، كما قامت في الشرق إمبراطورية خوارزم التي كانت في بادئ الأمر تحمي الخلافة العباسية بقوة جيوشها إلا أن علاء الدين محمد خوارزمشاه طمع في الاستيلاء على بغداد وانتزاع السلطة من الخليفة العباسي، لكنه اضطر إلى الانسحاب بسبب هبوب عاصفة ثلجية كبيرة، وبسبب هجوم المغول نحو بلاده وتمكنوا من هزيمته حتى أنه اضطر إلى الهرب إلى بحر قزوين حيث مات في إحدى جزره عام 620هـ/1223م.

أما بالنسبة إلى الولايات الإسلامية الأخرى فقد كان إقليم الجزيرة ومصر ومعظم بلاد الشام تحت حكم خلفاء صلاح الدين الأيوبي، ولكن انقسمت الدولة الأيوبية بعد وفاة الملك العادل أخي صلاح الدين في سنة 615هـ/1218م على يد أولاده الذين انشغلوا بالحروب والمنازعات فيما بينهم،[273] بحيث لم يتوان بعضهم عن الاستعانة بقوة خارجية لتقوي موقفهم في السلطة، ففي سنة 615هـ/ 1218م استعان الأفضل ابن صلاح الدين بعز الدين كيكاوس صاحب الروم وبمساندة صاحب آمد الأرتقي بمهاجمة الأشرف موسى في الجزيرة وانتزاع أملاكه، إلا أنه تمكن من إفشال هذا المخطط، لكن الوضع ازداد سوءاً حيث اختلف الملك المعظم عيسى صاحب دمشق مع الأشرف موسى وسار إلى أخيه الكامل بمصر دون أن يصطحب معه

271 حسن إبراهيم حسن، *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*، 4/ 129.

272 رشيد الدين فضل الله الهمذاني، *جامع التواريخ*، تر: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصياد، مر: يحيى الخشاب، (دار إحياء الكتب العربية، مج2)،1/ 262.

273 حسن، *تاريخ الإسلام*، 129- 130.

المعظم، عندها شعر المعظم أن هدف هذه الزيارة هو التحالف ضده فقام بتحريض ملوك الجزيرة ضد الأشرف[274] وشرع أيضا في مراسلة السلطان جلال الدين منكبرتي الذي ظهر على المسرح السياسي للمنطقة، ورحب بطلب المعظم. ومن أجل توطيد التحالف قام جلال الدين بالزواج من ابنة الملك المعظم ومن خلال هذه المصاهرة تمكن من توطيد قدمه في بلاد الجزيرة، ففي سنة 623هـ/ 1226م توجه جلال الدين إلى خلاط لكنه فشل في السيطرة عليها. عندها أدرك الملك الأشرف خطورة أطماع جلال الدين لتوسعه في بلاده، فتوجه بنفسه إلى أخيه المعظم وتمكن من مصالحته، لكن بعد وفاة المعظم قام الناصر داود ابن المعظم بطلب المساعدة من جلال الدين الذي هاجم خلاط وتمكن من فتحها بعد حصار طويل. أثار هذا العمل مخاوف الأيوبيين من تمادي الخوارزمية في اجتياح البلاد، فاقتضت مصلحة الأشرف التحالف مع علاء الدين كيقباد صاحب الروم ونجح هذا التحالف بإيقاع الهزيمة بالخوارزمية وهرب سلطانها جلال الدين إلى أذربيجان، وفي ظل هذه الأحداث المضطربة اجتاح المغول بلاد الروم و بدأو يهددون ممتلكات الأيوبيين في الجزيرة، إضافة إلى الوجود الصليبي في فلسطين ومصر، كل هذا حال دون إقامة حلف إسلامي يتمكن من الوقوف في وجه الغزو المغول، لذلك لم يكن سقوط بغداد في سنة 656هـ/ 1258م حدثاً مفاجئاً، بل كان نتيجة حتمية لضعف العالم الإسلامي.[275]

2.1.4. الأوضاع الاقتصادية والدينية:

ساهمت الاضطرابات السياسية والحروب التي لازمت إقليم الجزيرة الفراتية في النصف الأول من القرن السابع الهجري في تدهور الوضع الاقتصادي في المنطقة، لفقدان الأمن.[276]فانتشر الوباء وارتفعت الأسعار حتى بلغ سعر المواد الغذائية عشرة أضعاف، ورافق ذلك قلة سقوط المطر، ففي سنة 624هـ/ 1226م اشتد الغلاء في ديار الجزيرة وانقطع المطر لمنتصف آذار، وحدث غلاء شديد بسبب قلة الأمطار، كما ظهر جراد كثير لم تعهد المنطقة

274 حسن، *تاريخ الإسلام*، 130؛ قداوي، *الموصل والجزيرة الفراتية*، 34.

275 حسن، *تاريخ الإسلام*، 130؛ قداوي، *الموصل والجزيرة الفراتية*، 36.

276قداوي، *الموصل والجزيرة الفراتية*، 43.

مثله فأكل الزرع، فانتشرت البطالة وتركت آثارا سيئة في نفوس الفلاحين وأدى ذلك إلى حدوث هجرات متعددة[277].

انتشر التصوف[278]واتسع نطاقه في المشرق الإسلامي إبان الغزو المغولي، وزامن ذلك وجود كبار الصوفية المنحرفين من أمثال ابن سبعين وابن عربي وغيرهم، وترك التصوف الأثر السيئ على المشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، فمثل التصوف في عمومه ابتداعا في الدين وانحرافا عن العقيدة الصحيحة، والفهم الخاطئ للتوكل فتركوا كسب الدنيا وأعرضوا عن العبادة فلا هم لأكثرهم سوى اللعب والأكل، فأثر ذلك سلبا على الناحية الاقتصادية وانتشرت البطالة وأصبح الفرد من هذا النوع عبئاً على مجتمعه بدل من أن يكون فرداً منتجاً،[279]ونتيجة للفهم الخاطئ لعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر اعتبر الصوفية بأن الغزو المغولي للبلاد الإسلامية قضاء وقدر يجب الرضى به وعدم مدافعته، حيث عد كثير منهم الجهاد نقصاً وعيباً.[280]

3.1.4. الأوضاع العلمية والثقافية:

كان الوضع الفكري في الفترة التي سبقت المغول مزدهراً في كافة أنحاء العالم الإسلامي بفضل مساهمة السلاطين في دعم الحركة العلمية وسعيهم في إنشاء المراكز العلمية كالمدارس، والمساجد والخوانق، ورتب في المدارس دار كتب، فيها من الكتب النفسية في كافة أنواع الفنون، ومن المجالات التي ساهم السلاطين فيها بدعم الحركة العلمية في هذه الفترة إكرام العلم وأهله فقاموا بتعظيم العلماء والعناية بطلاب العلم الوافدين من بلدان مختلفة لطلب العلم فصاروا

277قداوي، *الموصل والجزيرة الفراتية*، 44.

278 التصوف: نزعة من النزعات البشرية، وطريقة في التعبد والسلوك، لا فرقة مستقلة كالمعتزلة والشيعة وأهل السنة. أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م)،4/ 839.

279 ابن تيمية، *مجموعة فتاوى*، مج10 ،171.

280 محمد العبده، طارق عبد الحليم، *الصوفية نشأتها وتطورها*،(الكويت: دار الأرقم، 1997م)، 95.

يلقون رعاية واهتماما كبيرين كتوفير المسكن والمأكل وأن تصرف لهم مخصصات من الأوقاف[281].

فازدهرت الناحية الثقافية والعلمية في القرن السابع الهجري ازدهاراً كبيراً وقامت نهضة علمية كبيرة وبرزت أسماء عظيمة وشخصيات علمية بارزة يعد نتاجهم العلمي من المصادر الرئيسة[282].

خلاصة:

وهكذا يتضح أن الجهود الذي قام بها سلاطين السلاجقة ومن بعدهم الزنكيون والأيوبيون في دعم الحركة العلمية، كان من ثمارها إيجاد جيل من العلماء ساهموا مساهمة واضحة في التصدي للغزو المغولي وقبله الغزو الصليبي، فبالرغم من الوضع السياسي الصعب إلا أن الازدهار الفكري والثقافي والعلمي في هذا العصر كان قد بلغ شأناً عظيماً.

ونستنتج مما سبق أن العالم الإسلامي في المرحلة التي بدأ فيها ظهور المغول كان منقسما إلى دويلات بعضها قوية وبعضها ضعيفة، وتميزت هذه الممالك بتنازع بعضها مع بعض من أجل السيطرة والتوسع على حساب الأخرى، رغم أن الأمة الإسلامية عاشت في أواخر القرن السادس الهجري صحوة إسلامية كان لها صداها في معركة حطين الشهيرة سنة 583هـ/ 1187م.

---

281 ابن واصل، *مفرج الكروب*، 5/ 316؛ عبد الجليل حسن عبد المهدي، *الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي*، (الأردن: وزارة الثقافة، 2009م، مج2)، 106.

282 العلي، *ابن تيمية*، 30.

الغزو المغولي للعالم الإسلامي والجزيرة:

2.4. ظهور المغول وسياستهم التوسعية:

تعرض المشرق الإسلامي منذ الربع الأول من القرن السابع الهجري لهجوم الغزو المغولي وتمكن المغول في أقل من نصف قرن من السيطرة على معظم المشرق الإسلامي.

عرفت هذه الأقوام باسم التتار وكان موطنهم الأصلي هضبة منغوليا التي تمتد إلى أواسط آسيا وشمال التبت وغرب منشوريا وشرق تركستان[283]، ترجع تسمية المغول إلى مجموعة من القبائل التركية التي سكنت صحراء غوبي وجبال ألتاي على حدود الصين فهم كانوا مجموعة من القبائل المتناحرة التي عاشت على هوامش المدن المتحضرة وكان من أبرز هذه القبائل التتار الذين أطلق اسمهم على المغول ككل.[284]

عاش المغول حياة بدوية قاسية متنقلة من مكان إلى آخر سعيا وراء الرزق وقد انعكست مظاهر هذه البيئة على حياتهم الاجتماعية فأصبحت الهجرة من أهم صفاتهم.[285] كانوا يعيشون في الخيام ويخضعون لرئيس القبيلة ويطيعونه طاعة عمياء، ويعتمدون في طعامهم على الخيل؛ يأكلون لحومها كما أنهم يأكلون لحم الحيوانات الأخرى. لباسهم بسيط يتناسب مع حياتهم البدوية يصنعونها من أصواف الغنم وجلود الحيوان، ونادرا ما كانوا يستحمون لذلك اتصفوا بالقذارة، وكان المغول كغيرهم من الشعوب البدائية يدينون بديانة وثنية تعرف بالشامانية وظلوا يعتنقونها

283 فؤاد عبد المعطي الصياد، *المغول في التاريخ*،(بيروت: دار النهضة العربية، 1980م، ج1)، 30.

284 إيمان طلعت عبد الرزق الدباغ، *نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين*، ط1،(عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2019م)، 37.

285 محمد صالح داود القزاز، *الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية*،(بغداد: مطبعة القضاء، 1970م)،4 ؛ الصياد، *المغول في التاريخ*، 33.

حتى حلت محلها البوذية، فلهم آلهة الجبل والشجرة والشمس والقمر والبرق والرعد.[286] تتكون الأمة المغولية من عدة قبائل، من أشهرهم قبائل التتار: يقطنون المنطقة التي تحد شمالاً بنهري أرقون وسلنجا، وشرقاً بإقليم الخطا، وقوم كرايت موطنهم الواحات الشرقية في صحراء جوبي، وقوم مركيت ويسكنون في المنطقة الواقعة شمال بلاد الكرايت على مجرى نهر سلنجا، وقبائل اويرت ويسكنون في المنطقة الواقعة ما بين نهر اونن وبحيرة بايكال، وقبيلة نايمان ويقطنون الحوض الأعلى لنهر أرخن، وأتراك قرلق ويسكنون جنوب مملكة الأويغور، وقبائل القرغيز ينزلون في أعالي نهر ينيسي، والمغول يسكنون في هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي.[287]

وقد برزوا على مسرح التاريخ عندما تولى قيادتهم تموجين الذي خلف والده يسوكاي[288]في الحكم وعمره لم يتجاوز الثلاثة عشر عاما، وتمكن من كسب احترام اونك خان زعيم قبيلة الكرايت، والانتصار على قبائل مركريت واويرات، وبذلك أحكم تموجين سيطرته على معظم القبائل،[289] لينصرف بعدها إلى تنظيم شؤون مملكته وبعد انتهائه من القرارات التي اتخذها في القورياشاي شرع جنكيزخان بإصدار دستوره المعروف بالياسا[290] ليحل محل الأعراف القبلية، واتخذ من قراقورم عاصمة لدولته، وبعد هذه الإجراءات شرع جنكيزخان في توسيع ملكه خارج منغوليا، واستطاع أن يبسط سيطرته على معظم أجزاء الإمبراطورية

---

286 عبد السلام عبد العزيز فهمي، *تاريخ الدولة المغولية في إيران*،(القاهرة: دار المعارف،1981م)، 21-24؛ سعد بن محمد حذيفة الغامدي، *المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية*، ط1،(الرياض: وزارة الأعلام، 1990م)،121.

287برتولدشبولر، *العالم الإسلامي في العصر المغولي*، مر: سهيل زكار، نقله إلى العربية: خالد أسعد عيسى، ط1،(دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، 1982م)، 20.

288يسوكاي: بهادر بن برتان بهادر، والد جنكيزخان، كان يسوكاي رئيساً لقبيلة " قيات" من القبائل المغولية، يتصف بالشجاعة والبسالة، تزوج من نساء كثيرات من شتى الأقوام ، الصياد، *المغول في التاريخ*، 39.

289طقوش، *تاريخ المغول العظام والإيلخانيين*، ط1،(بيروت: دار النفائس، 2008م)،28-29.

290الياسا: مجموعة من القوانين التي أصدرها جنكيزخان في عام 603هـ/ 1206م، وكان من أهم قراراتها: أقامة العدل بين الرعية مع طاعة الخان طاعة عميا- لا تذبح الحيوانات إلا عن طريق شق البطن- من أقدم على قتل إنسان فأنه يقتل- الزاني والزانية جزاؤهم الذبح- المساواة بين الخان والعامة، الدباغ، *نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية*، 52.

الصينية وأن يخضع القبائل المغولية التي تمردت عليه أثناء حملته على الصين، فأدى ذلك إلى احتكاكه مع الدولة الخوارزمية التي بلغت اتساعها في عهد السلطان علاء الدين خوارزمشاه، وأدرك جنكيزخان بأن استمرار وجود هذه الدولة يعيق تحقيقه لأحلامه بإقامة إمبراطورية عالمية فاستغل حادثة مقتل التجار من قبل السلطان علاء الدين خوارزمشاه ، وبناء على ذلك اجتاحت المغول بلاد خوارزمشاه دون أن يستطيع السلطان علاء الدين التصدي لهم.[291]

1.2.4. الغزو المغولي للجزيرة الفراتية (627هـ/ 1230م):

تعرضت الموصل للغزو المغولي بعد أن اجتاحت جحافل المغول الدولة الخوارزمية في سنة 618هـ/ 12221م حيث توجهوا نحو أربل فبثوا الرعب فيها، ثم عاودوا الهجوم بعد عشرة سنوات.

فقد ظهرت بوادر الخطر المغولي في إقليم الجزيرة عام 628هـ/ 1230م بقيادة جرماغونبويان في عهد أوكتاي خان[292]حين ملاحقتهم لجلال الدين أثناء تراجعه من بلاد فارس[293]إلى أرمينية والجزيرة أمام ضغط المغول، فأرسل جلال الدين إلى نائب الأشرف الأيوبي صاحب دمشق يعلمه بأنه لم يأت للمنطقة هذه المرة للحرب، وإنما ألجأه الزحف المغولي إلى ذلك، وأنه عازم على تشكيل تحالف من الحكام المسلمين(هم الخليفة العباسي وحكام الموصل

---

291 شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تح: نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز،(بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ج27)، 207؛ طقوش، *تاريخ المغول العظام والإيلخانيين*، 45.

292أوكتاي خان: 627-639هـ/ 1229- 1241م، هو الابن الثالث لجنكيز خان، واشتهر بالعقل والكفاءة وسداد الرأي والتدبير والفتوة والعدل، تزوج زوجات كثيرة وكان له سبعة أولاد، الهمذاني، *جامع التواريخ*، مراجعة: يحيى الخشاب،(بيروت: دار النهضة العربية، د.ت)، 16.

293 بلاد فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران، *ياقوت الحموي*، معجم البلدان، مج 4، 226.

وإربل والأمراء الأيوبيين والأراتقة) للتصدي للغزو المغولي،[294] وما لبث أن وصله كتاب من الأشرف يعلمه أنه لا داعي لانتظار نجدته، فقرر الاعتماد على الأمراء المحليين لكن من دون جدوى، فاتفق مع أمرائه على ترك معداتهم في ديار بكر والانسحاب إلى أصفهان، إلا أن المغول كانوا يلاحقونه، وما أن طلع الفجر حتى قاموا بهجوم على معسكره فانهزمت طائفة كبيرة منهم وانهزم جلال الدين إلى أسوار آمد، فلم يفتح أهلها أبوابها للسلطان.[295] عندها فر هارباً ومعه مائة فارس فوصلوا قرية من قرى ميافارقين وهنا قتل المغول أكثر أصحابه و فر هو إلى إحدى الجبال القريبة من ميافارقين فقتله أحد الأكراد، [296]وما أن تمزقت قوات جلال الدين، حتى انفتح الطريق أمامهم لغزو ديار بكر، فنهبوا وخربوا ما فيها، وكان هدف هذه الغارات معرفة قوة المنطقة التي ثبت لهم ضعفها بسبب التنازع المستمر بين أمرائها وعدم استجابتهم لدعوة السلطان جلال الدين التي انهارت بمقتله فاجتاحوا بلاد الجزيرة ونهبوا آمد وماردين ونصيبين وارزن وقتلوا ونهبوا وسارت طائفة منهم إلى الموصل فاستباحوا أعمالها[297].

عندما انهزم جلال الدين من التتار في آمد نهب المغول سواد آمد وميافارقين وقصدوا مدينة أسعرد[298]فقاتلهم أهل المدينة، إلا أن المغول شددوا الحصار على المدينة مدة خمسة أيام، فعجز أهل المدينة عن التصدي لهم،[299] عندها أعطاهم المغول الأمان فسلموا لهم المدينة، عند ذلك بذلوا فيهم السيف، فما سلم منهم إلا من اختفى. وقد قيل إن القتلى بلغوا خمسة عشر ألفاً،

---

294 خليل، *الإمارات الأرتقية*، 316؛ عفاف سيد صبره، *التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية*، ط1،(القاهرة: دار الكتاب الجامعي، 1987م)، 265 .

295 محمد بن أحمد النسوى ، *سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي*، تح: حافظ أحمد حمدى،(مصر: دار الفكر العربي، 1953م)، 372.

296النسوى، *جلال الدين منكبرتي*، 380.

297 النويري، *نهاية الأرب*، ج27، 215 ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي، *تاريخ الدولة المغولية في إيران*، (القاهرة: دار المعارف، 1981م)، 91.

298أسعرد: وهي سعرتُ: مدينة من ديار ربيعة، القلقشندي، *صبح الأعشى*، 7/ 276.

299 ابن خلدون، *الخبر عن دولة التتر تاريخ المغول من كتاب العبر*، تح: أحمد عمراني، ط1،(لبنان: دار الفارابي، 2013م)، 134.

ثم تابع المغول زحفهم ووصلوا إلى مدينة طنزة[300] ففعلوا فيها فعلتهم الأولى، وساروا منها إلى وادي القريشية، وهو واد يسكنه طائفة من الأكراد القريشية، وفيه مياه وبساتين كثيرة، والطريق إليه كان ضيقا، فاستطاعوا أن يمنعوا المغول منه، فعاد المغول ولم يبلغوا منه أي غرض،[301] وتابعوا زحفهم في البلاد الإسلامية لا مانع يمنعهم حتى وصلوا إلى ماردين، ونهبوا ما مروا عليه من نواحيها واحتمى صاحبها وأهل دنيسر[302] بقلعة ماردين. ثم تقدموا إلى نصيبين وأقاموا فيها عدة أيام نهبوا خلالها المدينة، وقتلوا من ظفروا به فلما أغلقت أبوابها عادوا عنها، وتوجهوا إلى سنجار ونهبوا المدينة وقتلوا أهلها، ثم دخلوا إلى الخابور ووصلوا إلى عربان[303] فنهبوا وقتلوا ، وتوجهت طائفة منهم على طريق الموصل، حتى وصلوا إلى قرية المؤنسة، وهي تقع على مرحلة من نصيبين والموصل، فنهبوا وقتلوا، واحتمى أهلها بخان فيها، فقتلوا كل من فيه.[304] ثم عادوا إلى آمد ثم بلدة بدليس[305]واحتمى أهلها بالقلعة وبالجبال، فقتلوا فيها عددا كثير وأحرقوا المدينة، ثم تابعوا زحفهم من بدليس إلى خلاط وحاصروا مدينة فيها يقال لها باكري ملكوها عنوة وقتلوا كل من فيها، ثم قصدوا مدينة أرجيش[306] من أعمال خلاط، فنهبوا المدينة وقتلوا من فيها، ثم عادوا إلى بلادهم[307].

300طنزة: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وزاي: بلدة بجزيرة ابن عمر من ديار بكر، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج4، 43.

301 النويري، *نهاية الأرب*، 27/ 234.

302 دُنيسر: بضم أوله: بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 2، 478.

303 عربان: بفتح أوله وثانيه، وآخره نون: هي بليدة بالخابور من أرض الجزيرة، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج4، 96.

304 النويري، *نهاية الأرب*، 27/ 235؛ ابن خلدون، *الخبر عن دولة التتر*، 135.

305 بدليس: بالفتح ثم السكون، وكسر اللام، وياء ساكنة، بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط، ذات بساتين كثيرة، وتفاحها يضرب به المثل في الجودة والكثرة، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج1، 358.

306أرجيش: بالفتح ثن السكون، وكسر الجيم، مدينة قديمة من نواحي إرمينية الكبرى قرب خلاط وأكثر أهلها أرمن نصارى، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج1، 144.

307 النويري، *نهاية الأرب*، 27/ 235.

دخول المغول أربيل:

وذلك في سنة 628هـ / 1231م وصلت طائفة من المغول من أذربيجان إلى أربيل، فقتلوا من على طريقهم من الأكراد والتركمان الإيوائية وغيرهم إلى أن دخلوا إلى مدينة إربيل، فنهبوا القرى وقتلوا من المسلمين ما لا يحصى عددهم، ثم واصلوا إلى بلد دقوقا وغيرهم[308].

وهكذا تحقق للمغول من خلال هذه الهجمات من ضعف القوة الدفاعية في الجزيرة عامة وديار بكر خاصة، بسبب التناحر الذي شهدته المنطقة في ذلك الوقت وعدم استجابة أمرائها لدعوة جلال الدين.

2.2.4 المغول وسياستهم التوسعية:

وفي عام 638هـ/ 1240م انتقل فيها المغول إلى المرحلة الثانية من مخططهم، حيث بدؤوا بمباشرة العمل على إيجاد قواعد ثابتة لهم في المنطقة، فقد أرسل أوكتاي خان رسالة إلى صاحب ميافارقين المظفر شهاب الدين[309] وفيها: "من نائب رب السماء، ماسح وجه الأرض، ملك الشرق والغرب قاقان" وأبلغ الرسول التتري لصاحب ميافارقين:" قد جعلك قاقان سلاح داره، وأمرك أن تخرب أسوار بلدك... " فكان رده" أنا من جملة ملوك، وبلادي حقيرة بالنسبة إلى الروم والشام ومصر، فتوجه إليهم وما فعلوه فعلُته"[310]، رد عليهم بهذا لكي يكسب الوقت لمعرفة موقف بقية القوى الإسلامية، من مطالب المغول، إلا أن المغول باشروا بالهجوم على

308 المقريزي، *السلوك*، 1/ 363؛ النويري، *نهاية الأرب*، ج27، 235؛ نرجس أسعد كدرو." *تداعيات الغزوالمغولي على إمارتي ماردين والموصل وتأثيراته على أحوالها الاجتماعية والفكرية*"، مجلة دراسات موصلية، ع. 63 ،(2022م): 285.

309 خليل، *الإمارات الأرتقية*، 322.

310 المقريزي، *السلوك*، 1/ 409.

المنطقة وتمكنوا في عام 641هـ/ 1243م من السيطرة على أجزاء من بلاد سلاجقة الروم، وجعلوا منها قاعدة لشن هجماتهم على المناطق المجاورة وتوسيع نفوذهم فيها[311].

الهجوم على ميافارقين 642هـ/ 1244م:

في عام 642هـ/ 1244م قاموا بمهاجمة ميافارقين فاضطر صاحبها شهاب الدين غازي إلى مغادرتها تاركاً نائبه فيها لكي يطلب النجدة، فنازلها المغول وضيقوا عليها وقاموا بشن غاراتهم من ميافارقين على منطقتي آمد وماردين، فراسلهم نائب ميافارقين بالمال فرحلوا عنها.[312]

هجوم هولاكو على الجزيرة650هـ/ 1252م:

وفي عام 650هـ/ 1252م، شهدت الجزيرة وديار بكر بالذات، أعنف هجوم مغولي بقيادة هولاكو أخو منكوخان ملك المغول، نهبوا فيها مدن ديار بكر وقتلوا وأسروا ما يزيد على العشرين ألفاً، وصادفوا قافلة كانت تخرج من حران في طريقها إلى بغداد عند رأس العين وقاموا بمصادرة أموالها وقتلوا تجارها، فهرب الناس خوفاً منهم، ومن ثم رجعوا المغول إلى خلاط[313].

وإزاء هذه الهجمات اضطر أمراء المنطقة إلى التوجه إلى مونكوخان ملك المغول، لعلهم يصلون إلى طريق تحفظ لهم ممتلكاتهم لقاء بعض التنازلات، فاجتمع عند منكوخان كل من صاحب الموصل وميافارقين وماردين، وجرت مناقشات حادة بين صاحب ميافارقين الأيوبي وصاحب ماردين الأرتقي، حيث ادعى كل منهما بأنهم أحق بالملك من صاحبه، وبعد هذه

---

311 نهى فضل الله حميد." *إمارة ميافارقين الأيوبية ووقوفها في وجه الغزو المغولي 627-658هـ/ 1230- 1260م*"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع. 125- 126، كانون الثاني،(2014م): 135 .

312 خليل، *الإمارات الأرتقية*، 323.

313 ابن تغري، *النجوم الزاهرة*، 7/ 25.

المجادلات بين الطرفين اضطر صاحب ماردين إلى قبول التنازلات بعد الذي رآه من هجمات المغول على المنطقة فأعلنوا طاعتهم للمغول ودخلوا تحت حمايتهم.[314] .

الهجوم على مدن الجزيرة 658هـ/ 1259م:

بعد أن سيطر المغول على بغداد أخضعوا الكوفة[315] وواسط[316] وغيرها من المدن، ثم توجه إلى إربل واستولى عليها بعد حصارها ستة أشهر، وقتلوا صاحبها بدر الدين لؤلؤ[317]. تطلع المغول بعد ذلك لإخضاع مدن الجزيرة الفراتية، فتوجه هولاكو نحو ميافارقين وحاصروها لمدة سنتين، ونصبوا المجانيق من كل ناحية، فقاتلها أهلها وامتنعوا عن تسليمها، حتى عم القحط والجوع والوباء فيها[318]، وطال عليهم الأمد مما اضطرهم إلى الاستسلام، فاستولى المغول على المدينة وفتحوها، وقتلوا من أهلها خلقاً كثيرا وأسروا من بقي وقتلوا حاكمها الملك الكامل بن الشهاب غازي.[319]

وفي سنة 658هـ/ 1260م سار هولاكو على رأس جيش كبير إلى ماردين فحاصرها حصارا شديداً فنزل بأهلها الوباء والفناء فمات كثير من أهلها ومنهم صاحبها الملك السعيد في الحصار، فنزل ولده الملك المظفر من القلعة وسلمها لهولاكو ودخل تحت طاعته.[320]

314غوريغوريوس أبو الفرج بن أهرون ابن العبري، تصحيح: أنطون صالحاني اليسوعي، *تاريخ مختصر الدول*، ط2،(بيروت: دار الرائد اللبناني،1983م)، 483؛ خليل، *الإمارات الأرتقية*، 324.

315 الكوفة: سميت الكوفة لاستدارتها وقيل: سميت الكوفة، كوفة لاجتماع الناس بها، تقع جنوب غرب العراق، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج4، 490.

316 واسط: مدينة في العراق بين البصرة والكوفة، انتهى من عماراتها الحجاج بن يوسف سنة 86هـ/ 705م، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج5، 347.

317 العيني، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" عصر سلاطين المماليك"*، تح: محمد محمد أمين، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2009م)،1/ 180.

318 شهاب الدين قرطاي العزي الخزنداري، *تاريخ مجموعة النوادر مما جرى للأوائل والأواخر*، تح: هورستهاين، محمد الحجيري، ط1،(بيروت: كلاوس شقارتس برلين، 2005م)، 86.

319 العيني، *عقد الجمان*،1/ 177؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/ 199.

320 المكين جرجس بن العميد، *أخبار الأيوبيين*،(بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ، د.ت)، 53.

وبعد أن استولى هولاكو على آمد وحران وسروج وعدد من الحصون الأخرى[321]عبر الفرات على رأس جيش ضخم وتوجه إلى حلب فخرج إليهم الملك المعظم بن صلاح الدين لكنه انهزم أمام قوة المغول، فحاصر المغول حلب أشد حصار مدة عشرة أيام وقتلوا من أهلها ما لا يحصى، واستولوا عليها في عام 658هـ/ 1259، ثم توجه التتر إلى دمشق واستولوا عليها، وعلى سائر الشام، وحاصروا قلعة دمشق، ونهبوا وخربوا أسوارها حتى نزلوا بالأمان.[322]

خلاصة: اتضحت لنا من خلال هذه الدراسة أن نتيجة الصراع الدائر في الجزيرة بين أمرائها بسبب الأطماع الدائمة والفتن، ودخول الأيوبيين بعد صلاح الدين في النزاع، وتفتيت وحدة المنطقة، أثر كبير في فتح الطريق أمام المغول لشن هجماتهم المستمرة على المنطقة، والاستيلاء على مواقعها الهامة واتخاذها قواعد ليس لفرض سيطرتهم على الجزيرة فحسب، بل لاتخاذها قاعدة للزحف على الشام ومصر كما حدث في النصف الثاني من القرن السابع الهجري.

وكان الأراتقة كغيرهم من الأمراء، قد دخلوا حُمأة هذا الصراع، وساهموا في تفتيت وحدة المنطقة، بتشكيلهم الأحلاف والتكتلات لصد الأعداء.

وفي هذه المرحلة الحرجة، دخل الخوارزميون بقيادة جلال الدين منكبرتي، كقوة جديدة في تيار الأحداث في الجزيرة وبالرغم مما أثاره الخوارزميون من انشقاقات ومنافسات في مناطق الجزيرة وأرمينية، إلا أنهم سعوا إلى توحيد الجبهة الإسلامية لمقاومة المغول.

---

321 ابن العبري، *مختصر الدول*،486.

322 القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج،(بيروت: عالم الكتب، د.ت)،2/ 104؛ ابن الفوطي، *الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة*، تح: سهدي النجم، ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية،2003م)، 245؛ ابن العميد، *أخبار الأيوبيين*، 49.

الفصل الخامس

دور علماء الجزيرة الفراتية في الجهاد ضد المغول

1.5. دور شرف الدين ابن تيمية في الحث على الجهاد:

كان للعلماء مشاركة فعلية في حث عامة الناس على الجهاد بالوعظ فيعقدون المجالس والمحاضرات لحث الناس على الجهاد ولشحذ هممهم وترغيبهم في الجهاد، ولا نغفل دور المؤلفات التي ألفها العلماء في الجهاد، وأجر الجهاد والشهادة، ومما لا شك فيه أن هذه الجهود التي بذلها العلماء أثمرت على توافد أعداد كبيرة من المجاهدين من كل صوب للقاء المغول، وتمخض عن ذلك الانتصار العظيم على المغول في معركة شقحب في سنة 702هـ/ 1302م[323]، ومن هؤلاء العلماء:

شرف الدين ابن تيمية مكانته ومؤلفاته:

وهو عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أخو الشيخ ابن تيمية ولد سنة 666هـ/ 1267م ولد في حران[324]، وقدم من حران إلى دمشق عمره سنة، تفقه على يد ابن أبي اليسر وغيرهم من علماء دمشق[325]، تفقه ودرس وأفتى، وكان له إلمام بالتراجم وبرع في علم

---

323 العيني، *عقد الجمان*، 130/4.

324 ابن حجر، *الدرر الكامنة*، 2/ 266؛ الذهبي، *المعجم المختص بالمحدثين*، تح: محمد الحبيب الهيلة، ط1، (المملكة العربية السعودية: مكتبة الصديق، 1988م)، 122.

325 أبي الطيب التقي الفاسي محمد بن أحمد الحسني المكي، *ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد*، تح: محمد صالح بن عبد العزيز المراد، ط1،(المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، 1997م) 2/ 422؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 8 / 137.

الفرائض والحساب، وله مشاركة قوية في الحديث، درس في المدرسة الحنبلية مدة، كان كثير العبادة والصدقات، وكتب السنن، وكان مجاهد زاهداً وتوفي سنة 727هـ/1326م بدمشق[326].

دور شرف الدين في الحث على الجهاد ضد المغول في معركة شحقب:

في إطار الاستعداد لمواجهة المغول، قامت مجموعة من العلماء ومن بينهم شرف الدين بن تيمية بالتوجه إلى نائب السلطنة بدمشق المخيم بالمرج جمال الدين آقوش، لتقوية عزمه وعزم الجيش المعسكر معه، فخرجوا لملاحقته، واجتمعوا أيضاً بمهنا أمير العرب المعسكر بضمير[327]، فرأوه قد رحل عنها فساروا خلفه حتى أدركوه بالبرية، فقووا عزمه على الرجوع ومواجهة المغول، فأجابهم بالسمع والطاعة، واستعدوا للحرب والقتال.[328]

ويلاحظ من هذا الموقف استشعار العلماء أهمية الدعم المعنوي للعساكر المرابطة في سبيل حماية البلاد، وهذا ما دفعهم إلى التوجه نحو الجيش الإسلامي، لرفع معنوياتهم وشحذ هممهم للتصدي لعدوهم.

وبرزت في الغزو المغولي عدة مواقف للعلماء المسلمين في الجزيرة الفراتية، ومن بين هذه المواقف المشاركة في القتال، والوقوع في الأسر، فقد حرص العلماء على المشاركة في الحملات العسكرية، ووعظ الناس وحثهم على الخروج للجهاد وتذكيرهم بفضل الجهاد، وقد ظهر في ذلك العصر مجموعة من العلماء البارزين نذكر منهم:

---

326 زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب، *الذيل على طبقات الحنابلة*، صححه، محمد حامد الفقر، (القاهرة: السنة المحمدية، 1953م)، 2/ 383؛ برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح، *المقصد الأرشدفي ذكر أصحاب الأمام أحمد*، تح، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، (الرياض: مكتبة الرشد، 1990م)، 2/ 42.

327 موقع قرب دمشق، وقيل هو قرية وحصن في آخر حدود دمشق مما يلي السماوة. ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج3، 463.

328 العيني، *عقد الجمان*، 130/4.

2.5. شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية مكانته ومؤلفاته:

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم الحراني[329]، ولد بحران661هـ/ 1263م، وتحول به والده إلى دمشق وهو صغير، درس على يد عدد كبير من العلماء في العلوم المختلفة، وتأهل للتدريس وهو دون العشرين سنة، وصفة علماء عصره بالاجتهاد وبأنه كان سيفاً صارماً على المبتدعين آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وأفردوا ذكره بالتصانيف وتحلت بذكره التواريخ والتأليف،[330] برع في عدة علوم فكان فقهيا ومحدثا،[331] وواعظا وخطيبا بارعا إلى جانب إلمامه بالفلسفة والمنطق، عني بالحديث،[332] وأقبل على تفسير القرآن الكريم، فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه، وعلل الحديث وفقهه، وغير ذلك من العلوم كالحساب والجبر.[333]

نشأ في حران حتى بلغ السابعة من عمره، عندما أغار عليها التتار، وأعملوا فيها السيف والتدمير، فما كان من والده إلا أن فر بأسرته من حران، ولم يكن خروجهم سهلاً، فلم يكن الطريق خالياً من الأعداء، وسافروا ليلاً هاربين، وأسرة ابن تيمية أسرة علم، أثمن متاعها الكتب، ونقلوا كتبهم على مركبة لعدم توافر الدواب التي تحملها[334]، واستقرت أسرته بدمشق

---

329 محمد بهجة البيطار، *حياة شيخ الإسلام ابن تيمية*(فلسطين: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر, 1961)، 19.

330 محمد بن شاكر الكتبي، *فوات الوفيات والذيل عليها*، تح: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، مج1)، 74؛ عبد الهادي الصالحي، *طبقات علماء الحديث*، 4/ 281؛ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، *ثناء الأئمة على ابن تيمية*، تح: نجم عبد الرحمن خلف، ط2(بيروت: مؤسسة الرسالة،1985م)، المقدمة.

331 محمد بن عبد الملك الزغبي، *مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ*، ط1،(الإسكندرية: دار التقوى،2010م)، 272.

332 جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، *طبقات الحفاظ*، ط2،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م)، 521؛ القنوجي، *أبجدية العلوم*، 3/ 130؛ سامي بن عبد الله المغلوث، *أطلس أعلام المحدثين*، ط1،(الرياض: العبيكان، 2019م)، 320.

333 عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، *الذيل على طبقات الحنابلة*، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين،(مكة المكرمة: مكتبة العبيكات، د.ت)،4/ 494 .

334 محمد أبو زهرة، *ابن تيمية "حياته وعصره – آراؤه وفقهه"*،(القاهرة: دار الفكر العربي، 1991م)، 17.

وتولى الشيخ عبد الحليم والد ابن تيمية مشيخة الحديث السكرية وفيها كان مسكنه، وفيها تربى ولده تقي الدين،[335]فعني بالحديث، وقرأ ونسخ وانتقى، وتعلم الخط والحساب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وبرع في النحو، هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة.[336]

جاء ابن تيمية إلى الحياة في فترة فقد فيها المسلمون أو كادوا يفقدون معالم الطريق الذي يهديهم إلى الحق، وصل فيها المجتمع الإسلامي إلى صورة يعجز القلم عن تصويره من الانحلال الاجتماعي والتحلل السياسي والتفرق الطائفي والركود الديني، ومزقه الترف البطين واستولت على سياسته قيادات حاكمة عاشت لشهواتها[337].

مصنفاته:

له مصنفات كثيرة، مما كمل منها، كتاب الصارم المسلول على منتقص الرسول، وكتاب تبطيل التحليل، وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم، وكتاب الرد على طوائف الشيعة في أربع مجلدات، وكتاب دفع الملام عن الأئمة الأعلام، وكتاب الكلام الطيب، وكتاب التصوف، وكتاب مناسك الحج، وأكثر مصنفاته أحرقت[338].

335 أبي عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان، *حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية*، ط2،(القاهرة: مكتبة المنار،2002م)، 10؛ فؤاد عبد المنعم أحمد، *شيخ الإسلام ابن تيمية والولايات السياسية الكبرى في الإسلام*، ط1،(الرياض: دار الوطن،1417هـ)، 12.

336 عبد الهادي الصالحي، *العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية*، تح: طلعت بن فؤاد الحلواني، ط1،(القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 2002م)، 6.

337 محمد الصادق عرجون، *نموذج من دعاة الإصلاح في عصور الركود الفكري*،(كويت: مجلة الوعي الإسلامية، العدد 88، شهرية، 1972م)، 64؛ إبراهيم محمد العلي، *شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة*، ط1،(دمشق: دار القلم،2000م)، 217.

338 المقريزي، *المقفى الكبير*، 1/ 468.

حالة المجتمع في عهد ابن تيمية:

عاش ابن تيمية في مجتمع مليء بالفتن وفظائع المغول[339]، وخاصة بعد أن أخذ المغول بغداد وقتلوا الخليفة العباسي ومئات الألوف من أهلها وذلك في عام 656هـ/ 1258م، كان ابن سبع سنين من عمره حين أغار المغول على حران، فالتجأت أسرته إلى الشام هرباً من غارات المغول، وكانت حلب والشام أيضا وقعتا بأيدي المغول الذين نهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال[340]، حتى وقعت معركة عين جالوت سنة 658هـ/ 1260م بقيادة قائد المماليك مظفر الدين حاكم مصر الذي سار بجيشيه إلى الشام، وانضم إليه جيش من الشام، وكان هولاكو في حلب وقد وجه إلى دمشق قائده" كتبغانوين" الذي قام بأكثر حروب المغول، ودارت بين المسلمين والتتار معركة في عين جالوت انتصر فيها المسلمون[341]، وقتُل القائد المغولي كتبغانوين، وقد أحدثت هذه المعركة فرحاً كبيراً للمسلمين، واندحاراً للمغول.[342]

1.2.5.الغزو المغولي للشام ودور ابن تيمية في مواجهتها 699هـ/ 1299م:

يعتبر غازان من أهم حكام المغول الإيلخانيين، وهو الابن الأكبر لأرغون خان،[343] وأحكمت هذه الأسرة سيطرتها على بلاد فارس والعراق وأسسوا دولة مغولية تتاخم حدود الشام ومصر عرفت باسم إيلخانية فارس أو مغول فارس،[344] واعتلى غازان العرش سنة 694هـ/

339 أبو الحسن علي الحنبلي الندوي، *رجال الفكر والدعوة في الإسلام*، تقديم: مصطفى السباعي، مصطفى الخن، ط3 (دمشق: دار ابن كثير، 2007م)، 450.

340 الندوي، *رجال الفكر*، 450؛ كدرو، *العلماء والسلطة" نماذج لبعض العلماء من العهد الأموي إلى العهد العثماني*"، تحرير، متين شريف أوغلو، (ماردين: سونجاغ، 2022م)، 83.

341عبد الملك بن حسين الشافعي العاصمي المكي، *سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي*، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م)، 22/4.

342 ابن تغري، *النجوم الزاهرة*، 7/ 79؛ عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، *التاريخ الإسلامي مواقف وعبر*، ط1، (الإسكندرية: دار الدعوة، 1998م، مج8)،3/ 385.

343 الهمذاني، *جامع التواريخ*، 2/ 125؛ عبد الله بن فتح البغدادي "الغياثي"، *تاريخ الدول الإسلامية في الشرق*، تح: طارق نافع الحمداني، ط1،(بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2010م)، 55.

344 شوكت حجة، *روايات المؤرخين المعاصرين للغزو المغولي بين عامي 657- 699هـ/ 1259- 1300مدراسة وتحليل*،(جامعة الخليل، قسم التاريخ، د.ت)، 692.

1295م، ونتيجة لاعتناقه الإسلام، كان لابد من تغير سلوك المغول وقواعدهم، وترك العادات القديمة[345].

قام غازان بثلاث حملات على الشام، الأولى كانت عند "مرج المروج" شرقي حمص إذ دارت معركة عنيفة في سنة 699هـ/ 1299م أسفرت عن انتصار المغول[346]، وكان غازان قد استغل فترة الضعف التي سادت مصر أثناء اغتصاب عرش الناصر قلاوون على يد من كتبغا ولاجين، إضافة إلى هروب سيف الدين قبجق[347] نائب دمشق، مع جماعة من الأمراء، وخمسمائة من الجند، وعبروا الفرات واتصلوا بغازان[348]، واطلاعه على ما آلت إليه الحالة في سورية من نهاية حكم لاجين مما دفعه إلى العمل على امتلاك هذه البلاد، ومواصلة السير إلى مصر، إضافة إلى ذلك العداوة التقليدية بين المماليك في مصر والمغول في إيران، وكان سبب ذلك هو احتضان السلطان كتبغا لعصاة المغول الفارين من غازان إلى مصر، وما فعله الأمير بلبان الطباخي نائب حلب الذي أرسل جيشاً إلى ديار بكر، وحاصر ماردين، وأسر وقتل من المسلمين، وبالغ في السلب والنهب، وهكذا وجد غازان حجة لمحاربة المماليك في الشام[349].

---

345 الهمذاني، *جامع التوايخ (تاريخ غازان خان)*، تر: فؤاد عبد المعطي الصياد، ط1،(القاهرة: الدار الثقافي للنشر، 2000م)، 35.

346 الهمذاني، *جامع التوايخ(تاريخ غازان)*، 42؛ كدرو، *العلماء والسلطة*، 84.

347 كان قبجق نائب المماليك في الشام، لكنه أعلن عصيانه على المماليك، وخرج من البلاد الحلبية بمن معه من الأمراء ومماليكه إلى غازان، وسبب خروج قبجق عن الطاعة أنه ورده مرسوم سلطاني من حسام الدين لاجين، يطلب منه أن يسلم لأمراء المذكورين، فهرب قسم منهم، وقسم آخر طلب من قبجق أن يلتمس لهم الأمان من السلطان، فأبطأ عليه السلطان بالأمان، ثم خشن عليه بعض أكابر أمراء دمشق، فعلم قبجق أن ذلك الكلام كان من قبل السلطان، فغضب وسار إلى ماردين وهناك التقى بغازان الذي أكرمه مع أمرائه ومماليكه غاية الإكرام. ابن تغري، *النجوم الزاهرة*، 8/ 79.

348 حمزة بن أحمد بن عمر ابن سباط الغربي، *تاريخ ابن سباط*، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1،(طرابلس: جروس برس، 1993م)،1/ 515- 516.

349 الصياد، *الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين "أسرة هولاكو خان"*،(قطر: منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، 1987م)، 288-289.

وبعد انتصار المغول في موقعة واد الخزندار قرب السلمية، ووصل خبر تلك المعركة لدمشق اشتد خوفهم وكثرت الأراجيف واختلفت الأقوال، فمنهم من قال بأن غازان مسلم وإن غالب جيوشه كذلك، وأنهم لم يتبعوا المنهزمين، وبعد انفصال الوقعة لم يقتلوا أحداً[350]، فلما كان يوم رابع من الوقعة وقعت صيحة عظيمة بالبلد، وقتل عدد من المسلمين كما هرب جماعة من أعيان البلد وهم القاضي أمام الدين والقاضي جمال الدين المالكي، ووالي البلد والتجار وبقي البلد شاغراً ليس فيه حاكم سوى نائب القلعة علم الدين أراجواش،[351] لذلك اجتمع عدد من العلماء والفقهاء منهم القاضي بدر الدين بن جماعة، والشيخ زين الدين القارقي، والشيخ تقي الدين ابن تيمية، واتفقوا على الخروج إلى لقاء غازان لأخذ الأمان لأهل دمشق.[352]

مفاوضات ابن تيمية مع المغول لحقن دماء المسلمين:

اجتمع أعيان البلد وعدد من الفقهاء، كان من بينهم الشيخ تقي الدين بن تيمية، واتفقوا على التوجه إلى لقاء غازان لأخذ الأمان منه لأهل دمشق، فلما كان يوم الاثنين توجهوا إلى غازان،[353] فقابلوه في النبك أثناء طريقه للاستيلاء على دمشق، وقد اجتمع ابن تيمية بغازان مرتين، وتميز بجرأته على المغول وحدته في الحديث معهم،[354] وقام بأعباء الأمر بنفسه، وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغول، وكيفية مخاطبة غازان، حيث أظهر ابن تيمية التعجب من إسلامه، وأن لديه مؤذنين وقاض وإماما ومع ذلك يتجرأ على غزو بلد إسلامي، وعندما قرب التتار الطعام لابن تيمية لم يأكل فقيل له لم لا تأكل؟ فقال كيف آكل من طعامكم وقد نهبتم من أغنام الناس، ثم إن غازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه:" اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد في سبيلك فانصره وأيده، وملكه البلاد والعباد،

---

350 ابن كثير، *البداية والنهاية*، ط7، 14/ 6.

351 ابن أبيك الدوادار، *كنز الدرر وجامع الغرر(الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)*، تح: هانس روبرت رويمر،(القاهرة: قسم الدراسات الإسلامية، 1960م)، 9/ 18.

352ابن كثير، *البداية والنهاية*، ط7، 14/ 7؛ الحميدي، *التاريخ الإسلامي مواقف وعبر*، 3/ 410.

353 ابن أبيك الدوادار، *كنز الدرر*، 20/9.

354 ابن كثير، *البداية والنهاية*، ط7، 14/ 7.

وإن كان قام رياءً وسمعةً، وطلباً للدنيا، ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله واقطع دابره" وكان غازان يرفع يديه ويؤمن على دعائه، وقام الناس بجمع ثيابهم خوفاً من أن تتلوث بدمائه، إذا أمر بقتله[355].

لكن ابن تيمية خرج من بين يديه مكرماً بحسن نيته الصالحة من بذل نفسه في طلب حقن دماء المسلمين، وكان سبباً في تخليص أسرى المسلمين من أيديهم، وردهم إلى أهلهم،[356]وبعد صلاة الجمعة وصل جماعة من التتار، وعلى يديهم فرمان غازان بالأمان لأهل دمشق، وحمل وطيف به على الأعيان[357]، وعند دخول المغول دمشق طلب منهم تسليم القلعة، فأرسل ابن تيمية إلى نائب القلعة يقول له: "لو لم يبق في القلعة إلا حجر فلا تسلمها" ، فأطاعه قائد القلعة، وأصبحت القلعة رمز المقاومة، وأمر ابن تيمية الناس بالتدرب على الرمي والاستعداد للقتال، ورجع غازان إلى العراق خائباَ، وخرج المحاصرون من القلعة وقتلوا من بقي من جيش غازان[358].

ومما تقدم نرى أنفسنا أمام صورة رائعة لهذا البطل الذي ناضل ضد المغول بكل جرأة وقوة، ولم يتردد للحظة في نصرة الإسلام والمسلمين.

2.2.5. دور شيخ الإسلام ابن تيمية في الحث على الجهاد:

كما كان لابن تيمية دور في حث الناس على الجهاد وشحذ الهمم فقد قام بأعمال جليلة كتبها له التاريخ بمداد من ذهب في سبيل صد العدو عن بلاد المسلمين، عندما قام المغول بالهجوم على بلاد الشام فقد انبرى شيخ الإسلام لحث الناس على الخروج للقتال لصد هجوم المغول، بكل الطرق، فقد حرص على وعظ الناس وحثهم للجهاد وتذكيرهم بفضل الجهاد.

---

355 الكرمي، *الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية*، ط1،(بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م)، 94؛ بهجة البيطار، *حياة شيخ الإسلام ابن تيمية*، 24.

356 الندوي، *رجال الفكر والدعوة*، 465.

357 ابن أبيك الدوادار، *كنز الدرر*، 20/9.

358 ابن كثير، *البداية والنهاية*، ط7، 14/ 7؛ العبد محمد علي." *ابن تيمية والمغول*" ، مجلة الوعي الإسلامي، دار المنظومة ، ع. 187 ،2016م): 99-100.

وعندما خرج ابن تيمية للقاهرة لحث الأمراء للخروج لملاقاة المغول خاصة بعد موقعة الخزندار699هـ/ 1299م التي هزم فيها الجيش المصري أمام المغول، فأثار الخوف في قلوب أهل دمشق وقاموا بحماية مدينتهم وظلوا مرابطين على أسوار المدينة وكان ابن تيمية بينهم يحفز الناس على الجهاد بتلاوة الآيات القرآنية، وأحاديث الغزو والرباط.[359]

3.2.5.دور ابن تيمية في معركة شقحب:

ظهرت مشاركات بارزة للعلماء في وقعة شقحب ضد المغول، كشفت عن موقفهم الرافض للغزو المغولي لبلاد الشام، ففي سنة 700هـ/ 1300م عاد المغول مرة أخرى إلى بلاد الشام، فخاف العامة منهم، وخلي بلاد حلب إلى حماة[360]، لكن لم يحدث التحام بين الطرفين لسوء الأحوال الجوية وهطول المطر، واشتداد البرد، فلما رأى غازان هذه الصعوبات قرر العودة من حيث أتى. أثناء ذلك جلس ابن تيمية بمجلسه بجامع دمشق وحرض الناس على القتال، وساق لهم الآيات والأحاديث، ونهى عن الفرار من البلد، ورغَّب في إنفاق الأموال للذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم، وأوجب جهاد المغول حتماً في هذه الكرة، وتابع المجالس في ذلك،[361] وجاءت الأخبار بأن سلطان مصر رجع إلى مصر بعد أن خرج منها قاصداً الشام، فكثر الخوف واشتد الحال، ونتيجة لهذه الحال التي عانى منها أهل الشام، خرج ابن تيمية إلى نائب الشام في المرج فثبتهم وقوى قلوبهم ووعدهم النصر على الأعداء، وتلا قوله تعالى:" ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور"(الحج60)، وبات عند العساكر ليلته[362]، ثم عاد إلى دمشق وساق في البريد إلى القاهرة يحرض الناس للجهاد،[363]وعند دخول القاهرة اجتمع بأركان الدولة وحثهم على تجهيز العساكر إلى الشام،

---

359 علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي، *المقتفي على كتاب الروضتين" تاريخ البرزالي"*، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1،(بيروت: المكتبة العصرية، 2006م، ق1)، 2/ 73؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 14/ 6.

360 ابن سباط، *تاريخ ابن سباط*، 1/ 522.

361 ابن كثير، *البداية والنهاية*، 14/ 14؛ العيني، *عقد الجمان*،4/ 123.

362 ابن كثير، *البداية والنهاية*، 15/14.

363 ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 7/ 794.

وقال لهم: "إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن، ثم قال لو قدر أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم"[364]، ونتيجة لهذه الترتيبات التي قام بها ابن تيمية من تحفيز الجيوش وإعلان نفير الحرب، أصبح السلطان المملوكي على استعداد لمحاربة المغول، الذين قاموا ببذل جهود جديدة في سبيل انتزاع بلاد الشام من المماليك، فصار يتبادل الرسائل مع السلطان الناصر ولكنها لم تسفر عن شيء إلا تبادل التهم والتهديد، وصمم أن يغزو الشام للمرة الثالثة،[365] وهنا خرجت طائفة كبيرة من الجيش المصري إلى الشام، ولما وصلت العساكر إلى الشام فرح الناس، واجتمع الأمراء بالميدان وتحالفوا على لقاء العدو،[366] وتوجه ابن تيمية إلى جهة العسكر الواصل من حماة واجتمع بهم في القطيعة فأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس، فأجابوا إلى ذلك تحالفوا معهم، وتكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء، فإنهم يظهرون الإسلام وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه فقال ابن تيمية: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وكان يقول للناس: إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني، فتشجع الناس في قتال التتار وقويت قلوبهم،[367]ثم لحق السلطان الناصر بالجيش وبصحبته الخليفة العباسي المستكفي،[368] والتقى الجيشان في رمضان سنة 702هـ/ 1303م. دارت رحى الحرب بين الطرفين وكانت المعركة شديدة أبلى فيها المسلمون بلاءً حسناً، واشتد القتال واشترك ابن تيمية فيها، واستمر القتال لليوم الرابع من رمضان، وانحسر جند التتار فلجأوا إلى الجبال والتلال، وجند ابن تيمي، وراءهم يضربونهم ويرمونهم بالرماح، حتى انبلج الفجر وانتصر المسلمون وهزم التتار وعادوا بالخسران المبين. وصل خبر الهزيمة إلى غازان فحزن كثيراً، ومما زاد غضبه وصول كتاب السلطان يحقره

364 ابن كثير، *البداية والنهاية*، 15/14.

365 المقريزي، *المقفى الكبير*، 459/1 ؛ كدرو، *العلماء والسلطة*،92.

366 ابن تغري، *النجوم الزاهرة*، 126/8.

367 ابن كثير، *البداية والنهاية*، 23/4.

368 العيني، *عقد الجمان*،4/ 243؛ الصياد، *الشرق الإسلامي*، 301.

ويقلل من شأنه ويطالبه بالجلاء عن العراق، وقد هدده قائلاً:" وإن سولت نفسك بخلاف ذلك فأنت لا محال هالك وعما قليل يخلو منك العراق والعجم وتندم حيث لا ينفع الندم".[369]

وفي سنة 712هـ/ 1312م هاجم المغول مدينة الرحبة[370]، وحاصروها ووصلت الأخبار بهذا الهجوم للقاهرة فخرج السلطان قلاوون على رأس جيش كبير وبصحبته ابن تيمية، كما أبدى صاحب حماة استعداده للخروج لمواجهة هذا العدو، وخرج بعسكره من حماة، لكن المغول تراجعوا بعد أن حاصروا المدينة قرابة شهر فعاد العدو خائباً بعد صمود أهلها[371].

لا شك أن جهود العلماء التي بذلوها أثمرت عن توافد أعداد كبيرة من المجاهدين من كل صوب لمواجهة المغول، وقد تمخض عن ذلك الانتصار العظيم على المغول في معركة شقحب سنة 702هـ/ 1302م[372]

ومن أبرز مشاركات العلماء في تكوين هذه الدولة مساهماتهم الجليلة في قمع حركات العصيان والثورات الداخلية نذكر منها:

---

369 البدري، *الإسلام بين العلماء والحكام*، 232؛ ثاير نومان مسير." *واقعة شقحب 702هـ ودورها في صد العدوان المغولي*"، مجلة ديالى، العراق، ع.58،(2013م): 88- 89.

370 الرحبة: قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج، ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج3، 33.

371 ابن كثير، *البداية والنهاية*، 14/ 26؛ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، تح، محمد مصطفى، ط1،(القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1975م، ق1)، 1/ 413.

372البرزالي، *المقتفي على كتاب الروضتين*، العصرية، ق1، 2/ 217؛ العيني، *عقد الجمان*،4/ 243.

4.2.5. دور ابن تيمية في التصدي لمظاهر الفساد:

في سنة 699هـ/ 1299م دار ابن تيمية على ما جدد من الخمارات وأراق الخمور وكسر أوانيها وشق ظروفها، وقام بإغلاق الحانات التي تبيعها. أما تعاطي الحشيش فقد حرمه ابن تيمية حيث ذكره في كتابه الفتاوى "أكل الحشيشة الصلبة حرام، وهي من أخبث الخبائث المحرمة، ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب".[373]

وكما أزال الله على يده كثيرا من البدع كتصديه لأهالي جبال الجرد وكسروان ومحاربتهم وذلك بسبب ما كانوا عليه من فساد العقيدة إضافة إلى جهوده العسكرية في تأديب هذه الفرقة في سنة 704هـ/ 1304م [374]، فعندما ثار أهالي جبل كسروان وخرجوا عن طاعة السلطان الناصر بعث إليهم الناصر الشيخ بن تيمية لوعظهم، وإقناعهم بالعودة لطاعة السلطان[375]وقد قام بالتوجه إليهم في عدد من أصحابه ووضح لهم ضلالهم وفساد معتقدهم، واستتاب عدداً منهم، ثم أعاد الكرة عليهم، وعندما أصروا على بدعهم، اتفق مع نائب بلاد الشام بإرسال جيش استطاع تأديبهم والقضاء على تمردهم.[376]

كما يسر الله على يد ابن تيمية إزالة صخرة كانت في أحد مساجد دمشق حيث يقوم الناس بزيارتها وتقبيلها للتبرك بها، يزعمون بأن الأثر الذي بها هو من أثر الرسول صلى الله

---

373 المقريزي، *المقفى الكبير*، تح: محمد اليعلاوي، ط1،(بيروت: دار الغرب الإسلامي،1991م)، 458/1؛ العيني، *عقد الجمان*،4/ 47.

374 العيني، *عقد الجمان*،4/ 384؛ ابن تيمية، *رسائل من السجن*، جمعها، محمد العبدة، ط4، (الرياض: دار طيبة، 1986م)، 29.

375 العيني، *عقد الجمان*،4/ 385؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، 12/14.

376المقريزي، *المقفى الكبير* ، 1/ 460؛ العيني، *عقد الجمان*،4/ 385 .

عليه وسلم،[377] فقام ابن تيمية بالتوجه إلى المسجد ومعه عدد من الحجارين وأمرهم بقطع هذه الصخرة[378].

وتصدى ابن تيمية للمبتدعين أصحاب الفرق كفرقة الأحمدية، وقد أظهرت هذا الفرقة أمورا لا تمت للإسلام بصلة منها أنهم يزعمون من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام ثم يدلكه بالخل وبعدها يدخل النار، ولو دخل لا يلتفت إلى ذلك،[379] وأكل الحيات وارتداء الطواق الحديدية فقام ابن تيمية في سنة 705هـ/ 1305م بإنكار هذه الأفعال ومن ثم قام بتطبيق أحكام الشريعة.[380]

وقام ابن تيمية بإصلاح أحوال السجون، لكثرة تردده عليها وساعده في ذلك علاقته الطيبة مع السلطان الناصر قلاوون، وتمكن من إقناع السلطان بالإفراج عن كثير من المسجونين الذين سجنوا من غير وجه حق، أو من سجن لدين عليه وهو لا يستطيع سداده.

واجه ابن تيمية الكثير من المحن والشدائد في سبيل التصدي للفساد ونشر مبادئه الإصلاحية، لما اشتهر به من قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون خوف[381].

في عام 726هـ/ 1325م اعتقل ابن تيمية بقلعة دمشق[382] بسبب الفتوى حول زيارة القبور واعتقل تلميذه ابن القيم الجوزي وفي سنة 728هـ/ 1327م منع من الكتابة بأمر من السلطان الناصر وأخرج ما كان عند ابن تيمية من أوراق وأقلام، وأخرجت كتبه ومصنفاته

---

377 النويري، *نهاية الأرب*، 32/ 65؛ محمود رزق سليم، *عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي*، (مكتبة الآداب، د.ت، مج 3)، 233/2.

378 العيني، *عقد الجمان*،4/ 357.

379 النويري، *نهاية الأرب*، 32/ 71؛ المقريزي، *المقفى الكبير*، 1/ 460.

380 العيني، *عقد الجمان*،4/ 406.

381 سماح بنت سعيد عبد القادر باحويرث، *الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر سلاطين المماليك*،(المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، رسالة ماجستير،2010م)، 321- 327.

382البرزالي، *المقتفي على كتاب الروضتين*، العصرية، ق1، 306/2.

ومن الواضح أن هذا الأمر أزعج ابن تيمية وأثر عليه كثيرا فبعد خمسة أشهر من شهر ذي القعدة 727هـ/ 1327م، فجع الناس بوفاته رحمه الله[383].

وفاته: مات سنة 727هـ/ 1327م في قلعة دمشق، أثناء حبسه فيها[384]، فازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات وامتلأ جامع دمشق فصلي عليه فيه، رضي الله عنه[385].

وختاماً، فإن ما ذكرته من أمثلة هو غيض من فيض مما تعرض له العلماء خلال العصر المملوكي من تعذيب وتنكيل سواء من قبل الحكام أو الأمراء أو من أصحاب مصالح، أو من بعض العلماء ممن لم يرضهم ما كان عليه رموز أهل السنة كابن تيمية وأتباعه.

وختاما يمكن القول إن العلماء قد قاموا بدور كبير في حث الناس على النفير العام لمواجهة الأخطار التي تهدد أراضي الدولة.

383 المقريزي، *المقفى الكبير*، 467/1؛ عبد العزيز البدري، *الإسلام بين العلماء والحكام*،(المدينة المنورة: المكتبة العلمية، د.ت)، 207.

384 ابن تيمية، *فقه الجهاد*، 9؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، 14/ 135.

385 الكرمي، *الكواكب الدرية*،176.

الفصل السادس

الدور الدعوي والتربوي لعلماء المسلمين في الجزيرة الفراتية من الغزو المغولي

1.6. دور ابن صلاح في إصلاح المجتمع:

ظهر للعلماء المسلمين في الجزيرة الفراتية مواقف كثيرة تجاه الغزو المغولي، كان لها أهميتها في التصدي لهذا الغزو ومقاومته، وقد برز لبعضهم دوره من خلال المشاركة في المعارك وبعضهم في محاربة الفساد في المجتمع وسوف يتم بيان هذه المواقف التي سنذكرها في هذا الفصل.[386]

وفي ظل هذا الجو الحالك بالظلام، حيث كثرت الفتن والبدع واختلط فيها على الناس الحق بالباطل، هيأ الله لهذه الأمة عالماً أنار بعلمه الطريق للأمة، وجلى عنها غبش الظلام، حيث ردها إلى الكتاب والسنة.

ابن صلاح مكانته وكتبه: وهو الإمام الحافظ المفتي شيخ الإسلام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري الأصل، الموصلي، المعروف بتقي الدين ابن الصلاح، كان من مشايخ الأكراد[387]،

386 خميس بن علي بن سيف الرواحي، *موقف العلماء المسلمين في العراق وبلاد الشام من الغزو المغولي*، (جامعة آل البيت، كلية الآدب والعلوم الإنسانية، رسالة ماجستير، 2011م)، 111.

387 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، مج3، 243؛ السيوطي، *طبقات الحفاظ* ، 503.

ولد سنة 577هـ/ 1181م في بلده شرخان[388]ونشأ في بيت علم وصلاح، وترعرع في كنف والده الإمام صلاح الدين عبد الرحمن شيخ شهرزور،[389]، فكان عالماً جليلاً، فقيهاً، عرف بالعلم والفضل، فأثر ذلك في تكوين ابنه عثمان[390]، فحفظ القرآن وجوده في سن مبكرة[391]، تلقى علومه الأولى في بلده، ثم انتقل إلى الموصل وهو مازال صغيراً واشتغل بها مدة[392]، وسمع من شيخ الشافعية بالموصل عماد الدين أبي حامد بن منعة الإربلي الموصلي صاحب التصانيف والفنون الكثيرة وقد لازمه ابن الصلاح حتى برع في المذهب، ونصر الله بن سلامة بن سالم، والشيخ أبي المعالي المقرئ وغيرهم كثيرون.[393]

ثم ارتحل إلى بلدان أخرى لطلب العلم فقصد بغداد وعمره بضع وعشرون سنة فسمع من علمائها الكبار كالشيخ المحدث ضياء الدين أبي أحمد شيخ العراق في الحديث، ثم سافر إلى خرسان فأقام بها مدة وحصل علم الحديث، وتنقل ما بين مرو وهمذان ونيسابور ثم عاد إلى الشام، وسمع من شيوخ دمشق وحران،[394]وتفقه على يده خلائق منهم أئمة كان من أشهرهم: شمس الدين عبد الرحمن المقدسي الفقيه الشافعي، شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة الإمام

---

388 بلده شرخان: بفتح الشين المعجمة، والراء المهملة، تليها خاء معجمة، هي قرية من أعمال إربل، قريبة من شهرزور في شمالي العراق، تقي الدين أبو عمر بن عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ابن صلاح، *طبقات الفقهاء الشافعية*، رتبه: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تح: محيي الدين على نجيب، ط1، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1992م)،31/1.

389شهرزور: بالفتح ثم السكون، وراء مفتوحة بعدها زاي، واو ساكنة، وراء، وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان أحدثها زُور بن الضحاك ومعنى شهر بالفارسية المدينة، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد. ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، مج3، 375.

390 ابن صلاح، *علوم الحديث*، تح: نور الدين عتر،(دمشق: دار الفكر،1986م)، 7.

391 ابن تغري، *النجوم الزاهرة*، ج6، 354؛ ابن صلاح، *طبقات الفقهاء*، 1/ 31.

392عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، *الدارس في تاريخ المدارس*، أعد فهارسه: إبراهيم شمس الدين، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية،1990م)،1/ 16.

393 ابن صلاح، *طبقات الفقهاء*، 1/ 32؛ أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين ابن قاضي شهبة، *طبقات الشافعية*، علق عليه: الحافظ عبد العليم خان، ط1،(حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، 1979م)،2/ 143.

394 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، مج3، 244؛ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، 23/ 141.

الحافظ المؤرخ صاحب الروضتين، وشمس الدين أبو العباس بن أبي خلكان الأربلي الشافعي أحد الأئمة الفضلاء صاحب وفيات الأعيان وسواهم كثيرون.[395]

مؤلفاته:

وقد ذكر التاج السبكي عنه قائلا: "وصنف التصانيف المفيدة كلها حسان، بالغة في الإحسان، مفيدة لكل إنسان"[396]ولم تشغله مناصبه عن التأليف، فصنف في علوم الحديث والرواية والفقه بالإضافة إلى شروحه وفتاواه، ومن تلك المؤلفات:

1- في علوم الحديث: المؤلف المشهور باسم مقدمة ابن الصلاح، وجمع في هذا الكتاب ما انتهت إليه جهود العلماء الذين سبقوه من المشارقة والمغاربة.

2- شرح صحيح مسلم، وقد عثر على قطعة منه.

3- طبقات فقهاء الشافعية.

4- الفتاوى: جمعه بعض أصحابه، له اجتهادات تدل على إمامته.

5- صلة الناسك في صفة المناسك جمع فيه من المسائل المفيدة التي يحتاج إليها الناس في الحج.

6- أدب المفتي والمستفتي.[397]

تدريسه:

بعد أن طاف ابن الصلاح في مختلف المدن والأقطار طلبا للعلم، استقر في دمشق وتولى التدريس في عدد من مدارس الشام منها المدرسة الأسدية بحلب وتولى تدريس المدرسة

395 الذهبي، *تذكرة الحفاظ* ، 4/ 214- 215؛ ابن صلاح، *طبقات الفقهاء*، 1/ 36.

396*طبقات الشافعية*، 8/ 327.

397 شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، *طبقات المفسرين*،(بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)،1/ 383؛ ابن صلاح، علوم الحديث، 16.

الرواحية والشامية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية،[398]ثم أتى بيت المقدس وتولى المدرسة الصلاحية بالقدس، وأقام فيها مدة وانتفع به الناس[399] وصنف وأفتى وتخرج به خلق، وكان يقوم بوظائف الجهات الثلاث، فكان من العلم والدين على قدم عظيم[400]، ومما تقدم نجد الدور الذي أداه ابن الصلاح خلاله رحلاته إلى بلدان عديدة، فقد سعى في نشر العلم وانتفع بعلمه كثيرون، إلى جانب مساهمات في حقل التدريس إذ كان له دور بارز في التدريس بعدة مدارس والتأثير على منهجية تلك المدارس.

دور ابن صلاح في إصلاح المجتمع:

من الناحية السياسية: حفلت الفترة التي عاش فيها ابن الصلاح 577- 643هـ/ 1181م-1246م بكثير من الأحداث العظيمة التي حلت بالأمة الإسلامية، كان لها أثر كبير في إحداث التفكك والانقسام والاضطرابات، والحروب بين المسلمين أنفسهم، وبين أعدائهم من الخارج، فبلغ الضعف في الأمة مبلغاً كبيراً وانحلت العُرى بين أوصال البلاد الإسلامية، ففي هذه الفترة ظهر المغول من جهة الشرق في غارة شعواء، ووحشية وهمجية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، كما خرج الصليبيون من جهة الغرب إلى الشام، وقصدوا مصر وتكررت غاراتهم وهجماتهم على ديار المسلمين، فساعد ذلك على تقسيم الدولة الإسلامية إلى دول وولايات كثيرة[401]، وذلك بعد ضعف الدولة العباسية، فكانت الحرب قائمة بين هذه الدويلات من حين لآخر. ومما ساعد على ذلك أيضا استبداد الأمراء والوزراء ووقوع التنافس فيما بينهم، وتولية الصبيان الحكم، ومن المعلوم أن هذه التقلبات مرتع خصب لظهور البدع والخرافات وانتشارها، ومما لا شك

---

398 ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 5/ 221.

399 مجير الدين الحنبلي العليمي، *الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل*، تح: محمود عودة الكعابنة، ط1،(عمان: مكتبة دنديس، 1999م، مج2)، 181؛ صديق بن حسن القنوجي، *أبجدية العلوم " الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم*،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1889م)،3/ 145.

400 ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 5/ 221-222؛ أبي بكر بن هداية الله الحسيني ابن هداية، *طبقات الشافعية*، تح: عادل نويهض، ط2،(بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، 1979م)، 221؛ السبكي، *طبقات الشافعية*، 8/ 327؛ عبد الهادي الصالحي، *طبقات علماء الحديث*، 4/ 215.

401 ابن صلاح، *طبقات الفقهاء*، 1/ 29.

فيهأن الإنسان يتأثر بما يحيط به من أحداث سياسية، ولذا فإن ابن الصلاح كان له دور بارز في حث الناس على التمسك بالكتاب والسنة والاقتداء بسلف هذه الأمة، وتحذيرهم من البدع والمبتدعين وإنكار بدعهم، والسعي في إزالتها ومنعها، وكان مع ذلك كله إمام عصره يرجع إليه الناس في توجيههم وتعليمهم.[402]

الحالة الاجتماعية:

أما الحالة الاجتماعية فهي مرتبطة بالحالة السياسية، حيث إن المجتمع الإسلامي لم يعرف الهدوء والاستقرار في هذه الفترة، فالحرب قائمة، سواء كانت مع غير المسلمين الصليبين والتتار أو مع المسلمين فيما بينهم، وما تبع ذلك من القتل ونهب للأموال وحصار المدن وما نتج عنه من غلاء في الأسعار وإفقار للناس، كما قامت المنازعات والفتن بين فئات المجتمع. كما حدث اختلاط بين المسلمين والكفار كان له أثر على سلوكهم، كما وجدت بعض الأعمال الشركية المنافية للتوحد كطلب كشف الكرب وطلب جلب النفع أو دفع الضر من غير الله تعالى، والتبرك بالقبور ووجود من يستغيث بغير الله تعالى وينذر لأصحاب القبور، ونتيجة لاعتناء الأيوبيين ببناء الخانقاوات منازل الصوفية فقد ظهرت بدع الصوفية وضلالاتهم، وقد كان لابن الصلاح إزاء ذلك كله دور كبير فقد دعي إلى تعظيم الكتاب والسنة والعمل بها ووجوب التمسك بهما، وقام بإحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم ونشرها بين العامة، والعمل بفهم الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، وتكلم عن الأمور التي يدخل فيها الشرك وفصل القول فيها، ونهى عن بعض العادات التي وجدت نتيجة لاختلاط المسلمين بالنصارى، كما بين ضلالات بعض أهل البدع وحذر منهم، وكشف حقيقة حالهم، وأنكر بعض البدع وحذر منها، وأوضح حرمتها، وحث على تطهير البلاد منها ومن أهلها[403].

---

402 ابن صلاح، *طبقات الفقهاء*، 1/ 29.

403 السبكي، *طبقات الشافعية*، 5/ 105؛ عبد الله بن أحمد عبد الله آل غنيم الغامدي، *منهج الأمام ابن الصلاح في تقرير العقيدة والرد على المخالفين*،(السعودية: جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، 1424هـ)، 16-17.

الحالة العلمية:

أما الحالة العلمية في تلك الفترة فقد كانت نشطة على الرغم مما تقدم لكثرة العلماء فيها وكانت لهم الهيبة لدى العامة والخاصة، وكثر العلماء في شتى الفنون، وكثرت التصانيف في مختلف العلوم، [404]ومما ساعد على نشاط الحركة العلمية وازدهارها هو تشجيع السلاطين والملوك في تلك الفترة للعلم والعلماء، فقد عني عناية خاصة ببنائها للمدارس وإجراء الصدقات والأموال عليها وجعل الأوقاف عليها وإنشاء المكتبات الضخمة وخزانات الكتب التي تضم أنفس الكتب وأسناها، وقد بلغت عدد المدارس في تلك الفترة زهاء تسعين مدرسة في الشام ومصر فبنى المدرسة الناصرية والمدرسة الرواحية، ودار الحديث الأشرفية، والمدرسة الشامية في دمشق والمدرسة الظاهرية، والمدرسة الجوزية، وغيرهم من المدارس[405] ولا شك أنه كان لهذه الفترة المزدهرة بالعلوم والمعارف الأثر الكبير في الإفادة والتحصيل لعلم ابن الصلاح وكانت حافزا لعطائه وتحصيله، ولقيامه بدوره المهم في التدريس في عدد من المدارس، وتصينفه مصنفات كثيرة في فنون متعددة، خاصة في السنة وعلومها، فقد اعتنى بها وبعلومها حتى أصبح يعرف عند أهل الحديث بالشيخ[406].

وهكذا نجد أن لابن الصلاح كان له دور في محاربة الفساد في المجتمع من البدع والمبتدعين وله المشاركة في فنون عديدة، وكانت فتاواه مسددة.

---

404 ابن صلاح، *طبقات الفقهاء*، 1/ 30.

405 ابن صلاح، *طبقات الفقهاء*، 1/ 30.

406 الغامدي، ابن الصلاح، 21.

وفاته:

وبعد حياة حافلة توفي ابن الصلاح بمنزله بدار الحديث بدمشق في خامس عشرة من ربيع الآخر سنة 643هـ/ 1245م [407]، ودفن في مقابر الصوفية رحمه الله.[408]

تولى الكثير من العلماء وظائف سياسية وعسكرية هامة في الدولة، ولم يتولوا هذه المناصب إلا لكفاءتهم وجدارتهم، فكانت لهم مشاركات إيجابية في تولي بعض المناصب الإدارية الهامة، وبرزت أسرة علمية بعينها كأسرة ابن خلكان الأربلي التي كان لأبنائها بمصر وبلاد الشام باع طويل في العلم والصلاح.

2.6. شمس الدين ابن خلكان مكانته ومؤلفاته (608- 681هـ/ 1211- 1282م):

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الإربلي الشافعي، المعروف بابن خلكان[409] ولد سنة ثمان وستمائة في إربل، كان فاضلا وحسن الفتوى، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس[410]، تفقه على يد أبيه في إربل قبل أن ينتقل إلى الموصل، وتتلمذ على يد مجموعة من العلماء منهم كمال الدين ابن يونس[411]، وفي حلب أخذ عن القاضي بهاء الدين ابن شداد

---

407 السبكي، *طبقات الشافعية*، 8/ 327؛ أبي المعالي محمد بن رافع السلامي، *تاريخ علماء بغداد(منتخب المختار)*، علق عليه: عباس العزاوي، ط1، (بغداد: مطبعة الأهالي، 1938م)، 133؛ بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني، *تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم*، اعتنى به: محمد بن مهدي العجمي، ط3،(بيروت: دار البشائر الإسلامية،2012م)، 146.

408 أبي شامة، *تراجم رجال القرنيين*، 270؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، مج3، 244.

409 الفاسي ، *ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد*، 2/ 151؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 496.

410 الكتبي، *فوات الوفيات والذيل عليها*، مج1/ 110؛ الميرزا محمد باقر الموسوي، *روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات*،(طهران: مؤسسة اسماعيليان، 1962م)،1/ 320.

411 ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، مج1، 5؛ كمال الدين أبي البركات ابن الشعار، *قلائد الجمان في فرائد شعراء هذه الزمان*، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م، مج1)،1/ 340.

وغيرهم، ولقي كبار العلماء وسكن مصر مدة وناب في القضاء بها [412]، وهو صاحب "وفيات الأعيان وأنباء الزمان" وهو من أشهر كتب التراجم، فقد أخذت مؤلفاته صفة الموسوعية العلمية، وله مجاميع أدبية[413].

انتقل إلى مصر واشتغل بها، وبرع في الفقه والأصول، وأفتى ودرس، وتولى فيها مهمة القضاء، وأقام فيها مدة، وتولى التدريس في المدرسة الفخرية بالقاهرة، ثم سافر إلى دمشق فولاه الملك الظاهر قضاء الشام، لمدة عشر سنوات، وولي مهمة التدريس في كثير من مدارس دمشق.[414]

وهكذا نجد أن ابن خلكان أسهم إسهاماً رائعاً ومفيداً بما كتب وسجل في كتابه "وفيات الأعيان" وتجسد نشاطه العلمي من خلال قيامه بالتدريس والتأليف هذا النشاط العلمي الذي لا يقل عن الدور الجهادي .

وفاته:

كان إماماً عالماً، كثير الفضائل، أديباً، شاعراً، مات في رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة، ودفن في جبل قاسيون[415].

---

412 فرانز رونثال، *علم التاريخ عند المسلمين*، تر: صالح أحمد العلى، ط2،(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983م)، 764؛ الذهبي، *العبر في خبر من غبر*، 5/ 334؛ محمود بن محمد عرنوس، تاريخ القضاء في الإسلام، (القاهرة: المطبعة المصرية الأهلية الحديثة، د.ت)، 189.

413 الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 7/ 201؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، 1/ 538.

414 ابن تغري، *النجوم الزاهرة*، 7/ 354؛ يسرى عبد الغني عبد الله، *معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري*، ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م)، 78؛ ابن تغري، *المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي*، تح: محمد محمد أمين،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1984م)،2/ 91.

415 جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1،(د.م، 1967م)،1/ 555؛ ابن تغري، *المنهل الصافي*، 2/ 92.

الوظائف السياسية التي عمل بها العلماء:

تقلد علماء الشافعية في القدس في العهد المملوكي أسمى المناصب، منها النيابة ويراد بها من ينوب عن السلطان في الحكم[416] ويوقع على المراسيم عوضا عن السلطان، وله أبهة عظيمة.[417]

وكان النائب يتولى قيادة العسكر في المواكب، والنظر في أحوال الرعية في نيابته، وتفقد أحوالهم، والنظر في أحوال القرى والمحاصيل، وإيصال الحقوق لأصحابها، والنظر في أمر المفسدين من قطاع الطرق وغيرهم.[418]

ومن العلماء الذين تولوا منصب نائب السلطنة في القدس:

3.6. الأمير علم الدين سنجر مكانته:

هو المحدث والفقيه علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي الشافعي، ولد سنة 653هـ/ 1255م في مدينة آمد، وقد رجح ابن تغري أن أصله من الأكراد.[419]

وكان من مماليك جاول أحد أمراء الظاهر بيبرس[420]، وصار من أمراء الملك الناصر محمد قلاوون لما كان بالكرك، وجهزه الملك الناصر قلاوون نائباً إلى غزة والقدس ونابلس والرملة وقاقون،[421] وعندما تولى نيابة القدس والخليل اهتم بمدينة القدس وبنى فيها مدرسة

---

416 القلقشندي، *صبح الأعشى*، 17/4.

417 غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى، *زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك*، صححه: بولس راويس،(باريس: المطبعة الجمهورية،1893م)، 112.

418السكبي، *معيد النعم ومبيد النقم*، ط1،(بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1986م)، 24.

419 ابن تغري، *المنهل الصافي*، 6/ 74.

420 الزركلي، *الأعلام*، 3/ 141؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 15/ 293.

421 ابن تغري، *المنهل الصافي*، 6/ 75.

وأوقف عليها أوقافا كثيرة، وأنشأ مشروعاً أوصل من خلاله الماء من العين في مدينة الخليل إلى القدس.[422]

كما تولى ولايات عدة في مصر والشام، ويعد باني غزة ومعمرها، وبنى فيها قصراً وجامعاً وحماماً وبيمارستاناً، ومدرسة للشافعية، وخاناً وأوقف الأوقاف، وبنى ميداناً كل عمائره متقنة مليحة محكمة.[423]

وفاته:

كان محباً للعلم وخاصة علم الحديث وشرح مسند الشافعي في مجلدات، كانت نيابة حماة آخر محطة في حياته فقد أقام بها مدة ثم رحل إلى القاهرة، إلى أن توفي في سنة 745هـ/ 1354م ودفن في الخانقاه المجاورة لمنزله.[424]

من خلال هذه الدراسة تبين أن للعلماء دوراً كبيرا في الحياة العامة، في مختلف مجالاتها، كما أنهم تقلدوا وظائف هامة في الدولة.

422 مجير الدين العليمي، *الأنس الجليل*، مج2، 396؛ النويري، *نهاية الأرب*، 32/ 159.

423 الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 15/ 293.

424 تقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع السلامي، *الوفيات*، تح: صالح مهدي عباس، ط1،(بيروت: مؤسسة الرسالة، مج1)، 498.

4.6.دور النساء العالمات في النهضة العلمية:

أتت حركة الإصلاح والتجديد التي قامت بها المرأة المسلمة ثمارها وأفرزت جيلاً من النساء أسهم في حركة الجهاد التي قادها كل من عماد الدين زنكي وولده نور الدين وصلاح الدين وضم جيل الجهاد النسائي من كافة الطبقات[425].

حيث أسهمت المرأة في الحياة العلمية بمختلف جوانبها، فكان لها حضور في المجتمع منذ اللحظة الأولى لظهور الإسلام ولم يقتصر عطاء المرأة المسلمة على الإيمان والتضحية فقط بل امتد هذا العطاء إلى المجال العلمي والتعليمي، وبدأ تعليمهن منذ سن مبكرة، وأخذن يجلسن في المساجد للعلم واستماع الحديث، فظهرت الفقيهة والمحدثة والمفتية التي يقصدها طلاب العلم ويأخذ عنها بعض أساطين العلماء وتستفتى في بعض الأمور التي تخص عامة المسلمين، وظهر من العالمات من تعقد مجالس العلم ويحضر لها الطلاب من كافة الأقطار، وعرف عن بعض الفقيهات رحلات في طلب العلم وكان لبعضهن مؤلفات وإسهامات في الإبداع الأدبي.[426]

فعلى مر الحقب التاريخية، شوهدت آثار المرأة المسلمة في شتى ميادين العلوم تلميذة نجيبة، ومعلمة فذة تخرج عليها علماء، وفي طليعة هؤلاء النساء أمهات المؤمنين، والصحابيات، فكانوا السباقات في نقل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وآثاره ولا يكاد كتاب في الحديث يخلو من صحابيات روين أحاديث فيها.[427]

---

425 السيوطي، *نزهة الجلساء في أشعار النساء*،(القاهرة: مكتبة القرآن للطبع والنشر، د.ت).

426 نجوى قراقيش، *دور المرأة في النهضة العلمية في القديم والحديث*، د.ت،د.م، 6.

427 أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *الإصابة في تميز الصحابة*، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م)، 19/8؛ نجاة محمد المرزوقي، *الدور الريادي العلمي للمرأة في ظل الحضارة الإسلامية تاريخ ورؤية*،(جامعة الشارقة: مؤسسة الشارقة الدولية، 2017م، مج1)، 89.

1.4.6.التعرف بكبار المحدثات وبيان جهودهن في خدمة الحديث:

عرف القرن السابع الهجري عدداً من المحدثات اللاتي لهن دور بارز ومميز في نشر علم الحديث، وكانت لهن جهود عظيمة في تحمله وأدائه وتبليغه، وأخذ عنهن عدد كبير من الطلبة ومن المحدثات البارزات اللاتي سمعن الحديث وروينه، وأخذ عنهن كبار الحفاظ والمسندين:[428]

ست الدار بنت عبد السلام بن تيمية:

وهي عمة تقي الدين، ولدت بحران، وانتقلت إلى دمشق عندما هاجم المغول بلاد الإسلام، كانت محدثة مشهورة روورى عنها ابن أخيها أبو العباس وأخوه البرازالي وابن مسلم وغيرهم، توفيت بدمشق سنة 686هـ/ 1287م.[429]

المحدثة الجليلة زينب بنت مكي بن علي الحرانية:

الشيخة المعمرة أم أحمد ولدت سنة 594هـ/ 1198م[430]، سمعت من ابن طبرزد وأبي المجد الكرابيسي وست الكتبة، وحنبل وغيرهم.[431]سمع منها أبو عمر بن الحاجب وأبو عبد الله

---

428 صالح يوسف معتوق، جهود *المرأة في رواية الحديث*، ط1،(بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1997م)، 175؛ محمد خير رمضان يوسف، *فقيهات عالمات*،(الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، د.ت)، 8.

429 محمد علي الصويركي، معجم *أعلام الكرد في التاريخ الإسلامي والعصر الحديث في كردستان وخارجها*، (السليمانية: بنكه زين،2006م) ، 308؛ عمر رضا كحالة، *أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام*،(بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)،2/ 154.

430 ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 5/ 404؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال* والنساء *من العرب والمستعربين والمستشرقين*، ط15،(بيروت: دار العام للملايين، 2002م)،3/ 67.

431 الذهبي، *العبر في خبر من غبر*، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م)،3/ 366؛ حسين علي، *الدور العلمي لمدينة حران منذ القرن الثاني حتى السابع الهجري*، (أنقرة: الحياة، 2020م)، 101.

البرزالي ونافلته، وروى عنها كبار الحفاظ كالدمياطي وسعد الدين الحارثي وابن الزراد وزين الدين الفارقي وخلق كثير.[432]

المشاركة في رواية الحديث وتبليغه:

كانت من النساء اللاتي قضين عمرهن في طلب الحديث والرواية والصلاح والعبادة وتلاوة القرآن الكريم،[433] وازدحم عليها الطلبة، في سفح جبل قاسيون بدمشق وسمعوا منها الحديث وعلوم الدين، وعاشت أربعاً وتسعين سنة، وتوفيت في شوال سنة 688هـ/ 1289م.[434]

فاطمة الأمدية (ت 698هـ/ 1298م):

الراوية والمحدثة فاطمة بنت حسين بن عبد الله الآمدي نسبة إلى منطقة من ديار بكر، روت الجامع الصحيح للبخاري وسمع منها كبار العلماء كالذهبي صاحب التصانيف[435].

المحدثة زينب الإسعردية:

المحدثة زينب بنت سليمان بن إبراهيم الإسعردي، سمعت الصحيح من أبي عبد الله الحسين الزبيدي، ومن أحمد البخاري[436]، وتفردت بروايات، وروى عنها تقي الدين السبكي، وتوفيت سنة 705ه/ 1306م[437].

432البرزالي، *المقتفي على كتاب الروضتين*، ق1،2/ 179؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 15/ 42.

433 اليافعي، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م، ج4)، 156؛ كحالة، *أعلام النساء*، 2/ 118.

434 الذهبي، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تح: بشار عواد معروف، ط1،(دار الغرب الإسلامي، 2003م، مج 15)، 37؛ الفاسي، *ذيل التقييد*، 3/ 415.

435 https://www.gmk.one/t23424.html10/6/27

436 ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 6/ 12؛ الفاسي، *ذيل التقييد*، 410/3؛ الذهبي، معجم *الشيوخ*، 1/ 250.

437 ابن رجب، *الذيل على طبقات الحنابلة*، 466/2؛ الصويركي، معجم *أعلام الكرد*، 305؛ كحالة، *أعلام النساء*، 2/ 68.

ست النعم بنت نجم الدين بن حمدان الحراني:

محدثة ولدت سنة 638هـ/ 1240م وسمعت من المسلم بن أبي البركات جزءا من كتاب تصحيح التسبيح، وسمع منها أبو محمد الحلبي وغيره، توفيت 721ه/1322م.[438]

زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية:

هي بنت أخ الشيخ تقي الدين، وكانت من المحدثات المشهورات، ولدت سنة 722هـ/ 1322م، سمعت من الحجار وغيره،[439] وأجازت لابن حجر، كانت لها جهود كبيرة في سماع الحديث وإسماعه، انتفع الناس بعلمها، توفيت سنة 735هـ/ 1334م.[440]

ست الوزراء بنت محمد بن عبد الكريم بن عثمان المارديني:

متفقهة حنفية ولدت659هـ/ 1260م، اعتنى بها والدها، وكتبت وقرأت القرآن، وحفظت شيئاً كثيرا من فقه أبي حنيفة،[441]سمع منها البرزالي وغيرهم، ماتت في رابع شوال سنة 736هـ/1336م.[442]

---

438 ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، 129/2؛ كحالة، *أعلام النساء*، 2/ 172.

439 زينب فواز، *الدر المنثور في طبقات ربات الخدور*،(القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م)، 380؛ الحنبلي، *شذرات الذهب*، مج8، 610.

440 فواز، *الدر المنثور*، 380؛ كحالة، *أعلام النساء*، 2/ 74.

441 الفاسي، *ذيل التقييد*، 3/ 422؛ محي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله ابن سالم بن أبي الوفاء، *الجواهر المضية في طبقات الحنفية*، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ط2،(الرياض: هجر للطباعة والنشر، 1993م)،4/ 121.

442 كحالة، *أعلام النساء*، 2/ 174.

ومن المحدثات في العلم والحديث:

عائشة بنت محمد بن المسلم الحرانية[443]

ولدت سنة 647هـ/ 1249م، واعتنى بها أخوها فأحضرها على بعض المحدثين منذ صغرها[444]، وسمعت من إسماعيل بن أحمد المعروف بابن البلخي ومحمد بن عبد الهادي المقدسي وغيرهم.[445]

جهودها في نشر الحديث:

كانت لها جهود كبيرة في نشر علم الحديث، قامت بعقد مجلس للحديث في جامع بني أمية وغيرها من المساجد، وأخذ عنها طلبة الحديث في دمشق، وتفردت برواية بعض الأجزاء بالإسناد العالي، وعملت بالحياكة ورغم هذا لم يمنعها من أن تؤدي حق العلم الذي تعلمته.[446]

تلاميذها:

كان من الآخذين عنها: أحمد بن علي الدمشقي (732- 802هـ)، عبد الله بن خليل الحرستاني الحنبلي(728- 803هـ) وغيرهم.[447]

---

443 عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، *فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، اعتناء: إحسان عباس، ط2،(بيروت: دار الغرب الإسلامي،1982م)،1/ 654 .

444 معتوق، *جهود المرأة في رواية الحديث*، 251؛ محمد خير رمضان يوسف، *المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي*، ط2،(بيروت: دار ابن حزم، 200م)، 72.

445 الصفدي، *الوافي بالوفيات*، اعتناء: وداد القاضي، ط2،(بيروت: دار صادر،1991م، ج16)، 609؛ الفاسي، ذيل التقييد، 3/ 431.

446 ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 6/ 113؛ معتوق، *جهود المرأة*، 253.

447 معتوق، *جهود المرأة*، 254.

وفاتها وثناء العلماء عليها:

ماتت في شوال سنة 736هـ/ 1336م عن نحو تسعين سنة[448] وأثنى عليها من ترجم لها، ووصفوها بالشيخة المعمرة، وأنها حدثت بالكثير، وتفردت ببعض الأجزاء.[449]

المحدثة فاطمة خاتون:

فاطمة بنت إبراهيم بن داود الكردي الهكارية كانت محدثة مشهورة، ولدت سنة 683هـ/ 1283م، أخذت عن العلماء المشهورين في زمانها، وسمع منها الحافظ العراقي[450]، وتوفيت في ثاني عشر رمضان سنة 758هـ/ 1356م بدمشق[451].

وهكذا نالت المرأة قسطا كبيرا من العلم، وكانت لها مشاركة في الحياة العلمية، وساهمت بدور مهم في مجال علم الحديث.

وبدأت بعض ملامح هذا النشاط الموفور الذي بذلته المحدثات في القرن السابع الهجري تتبدى وتظهر، وتسفر عن نهضة علمية وحركة ثقافية واسعة، تؤكد ما أسهمت به النساء.

فقد كانت المرأة نشيطة ولها دور فعال في مجال العمل الديني بكل فروعه، وقد رأيناها على عكس ما كان يظن البعض فقهية بارعة، كما رأيناها واعظة توجه النصائح وتذكرهم بواجبهم تجاه الله والمجتمع، وشيخة رباط، وكذلك مدرسة تدرس القرآن والسنة والفقه

---

448 الحافظ الذهبي، *ذيول العبر في خبر من عبر*، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م)، 105.

449 ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، (بيروت: دار الجيل، د.ت)،2/ 238؛ عمر رضا كحالة، معجم *المؤلفين*،(بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)،5/ 57.

450 مصطفى محمد أمين حيدر، نوري عبد الرحمن إبراهيم، *العلماء المنسوبون إلى هكاري*،(مجلة العلوم الإسلامية، العدد الأول، مج 2، 2019م)، 86؛ عبد الكريم محمد المدرس، *علماؤنا في خدمة العلم والدين*، عني بنشره: محمد علي القره داغي، ط1،(بغداد: دار الحرية، 1983م)، 431.

451 الفاسي، *ذيل التقييد*، 3/ 436؛ محمد أمين زكي، *مشاهير الكرد وكردستان في العهد الإسلامي*، مراجعة: محمد علي عونى،(مصر: مطبعة السعادة، 1947م)،2/ 246؛ كحالة، *أعلام النساء*، 4/ 24.

والفرائض، هذا كله يجعلنا نقول بأن المجتمع الإسلامي في العصور الأولى والوسطى بتقاليده لم يمنع المرأة من المشاركة في مجال العمل الديني.

5.6. المساهمة ببناء المدارس والربط:

شهد إقليم الجزيرة وبلاد الشام توسعاً عمرانياً، تمثل في ظهور أحياء ومناطق جديدة في مدنها، وانتشرت فيها المساجد والمدارس والمنشآت الدينية، ونشطت حركة البناء في كل من الجزيرة ودمشق وحلب فبنيت البيمارستانات والحمامات والمؤسسات الاجتماعية كدار العدل، والمؤسسات الدينية كالمدارس والمساجد والخوانق والترب،[452]وكان لإنشاء المدارس في تلك الفترة الأثر الكبير في التربية الإسلامية لنشر الفضيلة، وبث روح الجهاد والقتال، ومحاربة البدع والخرافات، وأدت هذه المدارس دورها الدعوي والإرشادي، وخرجت العلماء والفقهاء والقادة العسكريين الذين كان لهم الدور البارز في قيادة الأمة.[453]

وكان للنساء نصيب كبير في إنشاء المدارس والهدف منها هو تدريس العلوم الدينية مثل القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه، وكانت هذه المدارس دليلا على مشاركة المرأة بصناعة الحضارة الإسلامية.

ومن الأدوار المهمة التي قامت بها المرأة في المجال العلمي، المساهمة الفاعلة في إنشاء الأوقاف التي تعتبر رافداً مهماً للحضارة، فقد توالت المشاركة الوقفية طوال التاريخ الإسلامي، ومن أشهر هذه الأوقاف المدارس والمساجد والتي كان لها بالغ الأثر في النهضة العلمية في البلاد الإسلامية،[454]وإيجاد نظام يتولى توفير الجو العلمي للمدرس والطالب، من خلال توفير الدعم المالي السخي للسكن، والمأكل، ومستلزمات التدريس ،والرواتب.

---

452 عاشور، *الأيوبيون والمماليك في مصر والشام*،(القاهرة: دار النهضة العربية، 1996م)، 142-143.

453 الكيلاني، *هكذا ظهر جيل صلاح الدين*، 57.

454 المرزوقي، *الدور الريادي العلمي للمرأة*، 99-100.

لقد أولت النساء الواقفات اهتمامهن بأن يقوم على المدرسة أكابر العلماء ولا سيما القضاة، وقد يكون الغرض من ذلك أن تحظى هذه المدرسة بمكانة خاصة من جهة، وأيضا لتستمر مدة أطول من جانب آخر[455].

ومن النساء اللاتي كان لهن دور في تشجيع حركة التعليم:

زمرد خاتون: (ت557هـ/ 1161م):

وهي بنت جاولي صاحب الموصل وأخت الملك دقاق بن تتش، وأم الملك إسماعيل، سمعت الحديث من الفتح نصر الله وأبي طالب الصوري، أهم أعمالها: بناء المدرسة الخاتونية البرانية سنة 524هـ/ 1129م [456]وتقع هذه المدرسة بوادي الشقرا بظاهر دمشق[457] وجعلت هذه المدرسة فقط للحنفية وعدت من كبار مدارسهم، وألحقت بهذه المدرسة مكتبة عامرة بالكتب وكانت زمرد خاتون على قدر من الثقافة والعلم، حافظة للقرآن الكريم، قامت بنسخ العديد من الكتب وبناء المدارس كالمدرسة الخاتونية بدمشق، وأوقفت عليها الأوقاف[458]، رجعت إلى بغداد بعد أن حجت ثم رجعت إلى مكة إلى أن توفيت بالمدينة سنة 577هـ/ **1161م** ودفنت بالبقيع.[459]

وهكذا نجد أن زمرد خاتون كانت ممن أسهمن في تشجيع العلم عن طريق إنشاء دور التعليم، بل تجاوزت ذلك إلى محاولة إصلاح المجتمع والنهوض به وفي هذا السبيل أوقفت أموالا طائلة على أعمال الخير وتعليم الأمة وتربيتها فبنت مدرسة بدمشق واشتهرت مدرستها

---

455 مروة غازي محمد، بديع محمد إبراهيم." *أوقاف النساء العلمية في الدولة العربية الإسلامية*"، العراق، جامعة الأنبار، ع.2 ، م. 47، (2020م): 52.

456 ابن الوردي، *تاريخ ابن الوردي*، 40/2.

457عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران، *منادمة الأطلال ومسامرة الخيال*، ط2، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1985م)، 169؛ الذهبي، *تاريخ الإسلام*، 38/ 222.

458 أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله ابن عساكر، *تاريخ مدينة دمشق*، تح: عمر بن غرامة العمري، ط1، (بيروت: دار الفكر، 1998م)، 69/ 168.

459 الذهبي، *تاريخ الإسلام*، 38/ 222؛ كحالة، *أعلام النساء*، 2/ 38.

بالمدرسة الخاتونية، وألحقت بها مكتبة عامرة بالكتب، فلم يغب عن بالها هذا الجانب المهم لتوفر الوقت والجهد على طلبة العلم.

1.5.6.إسهامات المرأة في العمارة:

شهدت دمشق في العهدين النوري والأيوبي توسعا عمرانيا ونشاطا معماريا كبيرا، ولعل من أهم ما يستلفت الانتباه في هذه الفترة هو الدور الكبير الذي قامت به المرأة في حركة البناء الحضاري هذه فنراها تساهم في بناء المؤسسات الدينية والثقافية كالمدارس والرباطات والخوانق.[460]

ومن المدارس الوقفية التي أنشأتها النساء هي المدرسة المارداني التي أنشأتها:

عزيزة الدين أخشا خاتون:

عزيزة الدين أخشا خاتون هي بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين، وزوجة السلطان الملك المعظم عيسى،[461]ومن أعمالها: المدرسة المارداني، أنشأتها في سنة 610هـ/1213م ودرس فيها جلة من الفقهاء[462]، منهم الصدر الخلاطي، وتاج الدين المارداني. تقع المدرسة بالصالحية في دمشق، وبجانب المدرسة بستان، ووقفتها سنة أربع وعشرين وستمائة، وأوقفت للمدرسة ثلاث حوانيت.[463]

460 محمد كرد علي، *خطط الشام*،(دمشق: مطبعة المفيد، 1928م)، 6/ 168.

461 بدران، *منادمة الأطلال*، 205.

462 كرد علي، *خطط الشام*، 6/ 96.

463 بدران، *منادمة الأطلال*، 205؛ النعيمي، *الدارس*، 1/ 455.

ومما يدل على مقدار عناية منشئتها بالمدرسة أنها خصصت لها أوقافا كثيرة لتؤمن استمرار هذه المدرسة، فقد بدأ بناؤها سنة 610هـ/ 1213م واكتمل سنة 624هـ/ 1227م، واستقدمت عزيزة خاتون لها خيرة علماء المذهب الحنفي[464].

تركان خاتون :(ت 640هـ/ 1242م):

هي بنت السلطان عز الدين مسعود صاحب الموصل[465]، وزوجة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل، من أعمالها: المدرسة الأتابكية بصالحية دمشق، ووقفتها لأصحاب المذهب الشافعي، وكان باب المدرسة من الأعلى مزخرفا بالحجر المعجن، وقد بنيت لها منارة، ولها شباكان يطلان على بستان. كان لهذه المدرسة شأن عظيم، درس بها عدد كبير من العلماء الكبار كأبي بكر الإسكندري واستمر بها إلى سنة 663هـ/ 1264م، ودرس بها إسماعيل المارداني واستمر بها إلى سنة 674هـ/ 1275م، وتقي الدين السبكي، وأحمد بن صصري، وغيرهم[466]، وتوفيت تركان خاتون في عام 640هـ/ 1242م.[467]

ربيعة خاتون(561- 643ه /1165م - 1245م):

بنت نجم الدين أيوب أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي، كانت من الصالحات الخيرات، تزوجت من سعد الدين بن معين الدين الزنكي وبعد وفاته تزوجت من السلطان المظفر كوكبورى وأقامت في أربل.[468] من أهم أعمالها بناء المدرسة الصاحبية بدمشق في سنة

---

464 أحمد رضا أحمد عمر." *إسهام المرأة في المجال العمراني والثقافي في العصر الأيوبي*"، مجلة العمارة والفنون جامعة رابرين، ع.1، 18.

465 ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 207/5.

466 بدران، *منادمة الأطلال*، 77- 78؛ طارق فتحي سلطان، أحمد رضا أحمد." *مدارس الخاتونات والأميرات الأيوبيات في بلاد الشام في العصر الأيوبي*"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، ع. 4، م. 7 ،(2008م): 207.

467 كرد علي، *خطط الشام*، 6/ 76.

468 الذهبي، *تاريخ الإسلام*، حوادث سنة 641هـ، 162؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 4/ 120.

628هـ/ 1230م ووقفتها لدراسة المذهب الحنبلي[469]، وبناؤها عظيم يدل على الأبهة، فقد امتازت بباب ضخم وبباحتها ذات الأواوين الأربعة، وأوقفت ربيعة خاتون عليها أوقافا كثيرة، ودرس فيها عدد من الشيوخ وكانت لها تواليف ومجموعات[470].

قامت ربيعة خاتون بدور كبير في الحركة العلمية في بلاد الشام في العصر الأيوبي، وتوفيت بدمشق سنة 643هـ/ 1245م ودفنت بمدرستها تحت القبو.[471]

توصلت هذه الدراسة إلى وجود مساهمات مهمة للعالمات والفقيهات والمحدثات اللائي كان لهن دور كبير سواء من خلال الاهتمام بالعلوم الدينية كالتفسير والفقه والحديث أو من خلال إنشاء المدارس، وهكذا كان للمرأة دورها المتميز في مجالات الحياة في بلاد الشام.

وليست هذه النماذج التي قدمناها عن المرأة إلا عينة قليلة لجيل من النساء المسلمات اللاتي كرسن حياتهن للمشاركة في الإصلاح والجهاد التربوي.

خلاصة: أسفر هذا النشاط الذي بذلته المحدثات في القرن السابع الهجري عن نهضة علمية وحركة ثقافية تؤكد ما أسهمت به المرأة جنباً إلى جنب مع الرجال.

فالمرأة المسلمة ظلت تبذل الجهد في تحمل الحديث وروايته من القرن الأول حتى القرن الثامن، وما ذكرته هنا ليس إلا غيضاً من فيض.

فكان للمرأة دور كبير في المجتمع حيث شاركت في الدراسة والتدريس وطلب العلم والاهتمام به، إذ أسهمت بدور كبير في الحياة العلمية والاجتماعية والثقافية في إنشاء المؤسسات

---

469 كرد علي، *خطط الشام*،6/ 99؛ طليمات، *مظفر* الدين *كوكبورى أمير إربل*، (مصر: المؤسسة المصرية العامة، 1964م)، 65؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، 5/ 138.

470 طارق فتحي سلطان، أحمد رضا أحمد، *مدارس الخاتونات*،202.

471 المرتضى الزبيدي، *ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب*، تح: صلاح الدين المنجد، ط2، (بيروت: دار الكتب الجديد، 1983م)، 78؛ بدران، *منادمة الأطلال*، 238.

التعليمية كالمدارس ودور الحديث لما لها من أثر كبير في نشر العلم والتي أدت بدورها إلى إرساء روح المقاومة في مواجهة الموجات الصليبية والتترية.

وأسهمت النساء في النهضة العلمية ودعم الحركة الثقافية والنهضة المعمارية ولا سيما بناء المؤسسات التعليمية مما يوضح دور أولئك النساء المجاهدات في حركة الإصلاح والتجديد وما ترتب من إسهامات هذا الدور في إخراج الجيل الذي واجه التحديات.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة التي تناولناها عن دور العلماء المسلمين في الجزيرة الفراتية في التصدي للتهديدات الخارجية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، فإنا نصل إلى كثير من الحقائق التاريخية ومن هذه النتائج:

أن إقليم الجزيرة الفراتية شهد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين تغيرات عديدة، فمن الناحية السياسية سيطر السلاجقة على معظم المشرق الإسلامي وأقاموا فيها عددا من الإمارات عرفت بالأتابكيات وقامت إلى جانب الأتابكيات في الجزيرة الإمارات الأراتقية في الأجزاء الشمالية بينما قامت الزنكية في الأجزاء الجنوبية منها.

وحدث في النصف الثاني من القرن السادس الهجري صراعٌ جديد بين الزنكيين والأراتقة من جهة وبين الأيوبيين من جهة ثانية حتى استولى الأيوبيون على أغلب بلاد الجزيرة الفراتية وهكذا حتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري، عندما تعرضت بلاد الجزيرة الفراتية كغيرها من بلاد المشرق الإسلامي للغزو المغولي.

شكل الغزو الصليبي صدمة مؤلمة للمسلمين، فأخذ العلماء والفقهاء يخطبون من فوق المنابر لبيان فضل الجهاد والمجاهدين، وبدأت الدعوة إلى الجهاد تسري بين الناس في العالم الإسلامي بسرعة فعمت سائر المناطق وفي ظل هذه الظروف ظهر آل زنكي في الموصل ليقودوا حركة الجهاد، وما لبث عماد الدين زنكي أن صار أقوى حاكم، وتمكن من التغلب على النعرات الانعزالية، فتوالت فتوحاته وتمكن من فتح الرها سنة 539هـ/ 1144م، ثم قاد حركة الجهاد من بعد عماد الدين زنكي ابنه نور الدين محمود وتمكن من القضاء على كل تمزق في بلاد الشام بعد أن سيطر على دمشق والحصون التابعة لها مثل بعلبك وبصرى وشيزر وضمها إلى بقية ممتلكاته في بلاد الشام، وما لبثت حركة الجهاد أن أخذت بعدا أكثر قوة وتنظيما عندما استطاع صلاح الدين الأيوبي توحيد جهود مصر وبلاد الشام تحت قيادته، وشن حربا طاحنة ضد الصليبين وتمكن من استعادة بيت المقدس والعديد من مناطق بلاد الشام.

وقد أوضحت الدراسة الجهود التي قام بها العلماء والفقهاء في رفع الروح الجهادية لدى المسلمين كما كان لبعضهم دور في الجهاد، ومشاركتهم في الحياة السياسية من خلال دورهم الفعال كمستشارين للخلفاء وعملهم كسفراء ودورهم في الحث على الجهاد.

أكدت الدراسة الدور الذي قام به العلماء في حث عامة الناس للدعوة للجهاد فعقدوا المجالس وأسهموا في تأليف الكتب التي تحث على المشاركة في الجهاد، كما قاموا بتجهيز الجيوش والمشاركة في القتال.

وكان لكثير منهم مواقف تجاه الصليبين سجلوها في نتاجهم العلمي استجابة لظروف الحروب وكانت هذه الفترة بحق أخصب فترات تاريخ المنطقة في مجال التأليف وبروز العلماء كما كانت فترة نشاط في إنشاء المدارس ودور التعليم التي تحمل على عاتقها عبء التوجيه لمقاومة هذه العدوان، كما ظهرت مؤلفات تاريخية تركزت مادتها العلمية على تتبع مراحل ذلك العدوان وكتبت عن أبرز المعارك التي دارت بين المسلمين والصليبين من أبرزها: النوادر السلطانية في المحاسن اليوسفية لبهاء الدين ابن شداد.

شارك بعض العلماء في العهد الزنكي بمهمة السفارة ومن سفراء الاستنجاد وطلب المعونة ضد الصليبين القاضي كمال الدين الشهرزوري حيث أرسله عماد الدين سفيرا من لدنه ليستنجد بالخليفة العباسي المقتفي لأمر الله أثناء الهجوم الصليبي البيزنطي المشترك على حلب وغيرها من مدن الشام.

وقد كان المشرق الإسلامي يعاني قبيل الغزو المغولي من الأوضاع السياسية المتردية إذ تفككت الدولة السلجوقية وقامت عدة دويلات، كان أكبرها الدولة الخوارزمية، ودخلت هذه الدويلات في صراعات، واستطاعت الدولة الخوارزمية أن تمد نفوذها على المشرق الإسلامي.

تميز القرن السابع الهجري بأمور عدة منها استمرار الحملات الصليبية على البلاد الإسلامية، وظهور الخطر المغولي وتدميره للدولة العباسية، واستيلاء المماليك على الحكم،

وانتقال الخلافة العباسية من بغداد إلى مصر وظهور علماء أفذاذ في شتى العلوم كابن تيمية وابن صلاح وغيرهم.

ونتج عن الدراسة معرفة الجهود التي بذلها العلماء في رفع الروح الجهادية للمسلمين واتضح ذلك من خلال الدور العظيم الذي قام به ابن تيمية، وبيان دور ابن تيمية وجهاده ضد المغول بدءا من محاولته في دمشق من صد هجمات المغول ودوره في حث الجيش على الثبات في المعركة.

كما تناولنا اهتمام المرأة المسلمة بالدراسات الشرعية لتتعرف على تعاليم الإسلام الصحيحة، وكانت دراسة الحديث تأخذ القسط الأكبر من هذا الاهتمام وبلغن فيها درجة عالية، وكن مثالا رائعا للأمانة وقد أشارت كتب الطبقات والتراجم لهذه الفئة وذكرت أسماء العديد من المحدثات والفقيهات.

ظهرت نساء متميزات لهن أثرهن الواضح في المجتمع من خلال حضورهن مجالس العلمية فقد تلقى الكثير منهن القرآن وبعضهن حضرن مجالس الحديث ورووا عن كبار الحفاظ، وكان لبعضهن جهود في هذا القرن بتشييد المدارس مثل ربيعة خاتون وتركان خاتون زوجة الملك المظفر.

وأصبح عدد وافر منهن من أصحاب الأسانيد العالية مثل: زينب بنت مكي الحراني التي روى عنها كبار الحفاظ والعلماء.

ولم يقتصر دور المدارس على العلوم الشرعية، بل وجدت المدارس الطبية أيضا وقد ألحق بها بيمارستانات كانت بمثابة جامعة يتخرج بها الأطباء، وكان للنساء مجالس وعظ، تقوم فيها واعظات على درجة كبيرة من العلم ومنهن المحدثة والفقيهة عائشة بنت محمد بن المسلم الحرانية والمحدثة الجليلة زينب بنت مكي بن علي الحرانية.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري، *الكامل في التاريخ*، راجعه: محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري، *التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية(بالموصل)*، تح: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963م.

ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح، *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، علق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح، *الوشي المرقوم في حل المنظوم*، تح: يحيى عبد العظيم، تقديم: عبد الحكيم راضي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004م.

ابن الوردي، زين الدين عمر، *تاريخ ابن الوردي*، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996م.

ابن المستوفي، شرف الدين أبي البركات، *تاريخ إربل*، تح: سامي بن السيد خماس الصقار، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، 1980م.

أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل، *تقويم البلدان*، دار صادر، بيروت، د.ت.

أبي الفدا، عماد الدين إسماعيل، *المختصر في أخبار البشر*، تح: محمد زينهم عزب، يحيى سيد حسين، دار المعارف، القاهرة ، د.ت.

ابن القلانسي، حمزة بن أسد، *تاريخ دمشق*، تح: سهيل زكار، ط1، دار حسان، دمشق، 1983م.

ابن العماد الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، ط2، دار الميسيرة، بيروت، 1979م.

ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم، *زبدة الحلب من تاريخ حلب*، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996م.

ابن الفوطي، كمال الدين، *الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة*، المكتبة العربية، بغداد، 1351ه.

ابن أبيك، الدوادار، *كنز الدرر وجامع الغرر(الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)*، تح: هانس روبرت رويمر، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1960م.

ابن الدبيثي، محمد بن سعيد، *المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله*، تح: مصطفى جواد، مطبعة المعارف، بغداد، 1951م.

ابن الشعار، كمال الدين أبي البركات، *قلائد الجمان في فرائد شعراء هذه الزمان*، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

ابن الصابوني، محمد بن علي، *تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب*، تح: مصطفى جواد، المجمع العلمي العراقي، العراق،1957م.

الشيباني، ابن أبي عاصم، *الجهاد*، تح: أبو عبد الرحمن مساعد بن سليمان الراشد الحميد، ط1، دار القلم، دمشق، 1989م.

ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح، محمد مصطفى، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1975م.

ابن العبري، غوريغوريوس أبو الفرج، تصحيح: أنطون صالحاني اليسوعي، *تاريخ مختصر الدول*، ط2، دار الرائد اللبناني، بيروت،1983م.

ابن الساعي، تاج الدين، *الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير*، تعليق: مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، 1934م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، *ذيول العبر في خبر من عبر*، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، *سير أعلام النبلاء*، تح: بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1985م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، *طبقات القراء*، تح: أحمد خان، د.م، 1997م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، *تذكرة الحفاظ*، ط2، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، د.ت.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، *الأعلام بوفيات الأعلام*، تح: مصطفى بن علي عوض، ربيع أبو بكر عبد الباقي، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1993م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، 1995م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، *المعجم المختص بالمحدثين*، تح: محمد الحبيب الهيلة، ط1، مكتبة الصديق، المملكة العربية السعودية، 1988م.

السبكي، تاج الدين، *طبقات الشافعية الكبرى*، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الجلو، دار أحياء الكتب العربية، د.م.

السبكي، تاج الدين، *معيد النعم ومبيد النقم*، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986م.

النويري، شهاب الدين أحمد، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تح: نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

الهمذاني، رشيد الدين، *جامع التواريخ*، تر: محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصياد، مر: يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية.

الهمذاني، رشيد الدين، جامع التوايخ (تاريخ غازان خان)، تر: فؤاد عبد المعطي الصياد، ط1، الدار الثقافي للنشر، القاهرة، 2000م.

القلقشندي، شهاب الدين أحمد، *صبح الأعشى*، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م.

القلقشندي، شهاب الدين أحمد، *مآثر الأنافة في معالم الخلافة*، تح: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

البخاري، محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، البشرى، باكستان، 2016م،

الترمذي، أبي عيسى محمد، *الجامع الصحيح سنن الترمذي*، تح: إبراهيم عطوة عوض، ط1، مصطفى الباني، مصر، 1962م.

الكتبي، محمد بن شاكر، *فوات الوفيات والذيل عليها*، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

المقدسي، البشاري، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة،1991م.

المقريزي، تقي الدين، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997م.

المقريزي، تقي الدين، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1991م.

العيني، بدر الدين، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*، تح: محمود رزق محمود، ط2، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م.

العيني، بدر الدين، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" عصر سلاطين المماليك"*، تح: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م.

القزويني، زكريا، *آثار البلاد وأخبار العباد*، دار صادر، بيروت، د.ت.

السيوطي، جلال الدين، *طبقات الحفاظ*، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

السيوطي، جلال الدين، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، د.م، 1967م.

السيوطي، جلال الدين، نزهة الجلساء في أشعار النساء، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.

الأسنوي، عبد الرحيم، *طبقات الشافعية*، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

الأصطخري، أبي إسحاق إبراهيم، *مسالك الممالك*، مطبع بريل، ليدن، 1870م.

البلاذري، أحمد بن يحيى، *فتوح البلدان*، علق عليه: شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1997م.

اليافعي، عفيف الدين أبي السعادات، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

الأصفهاني، أبي عبد الله محمد، *حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس " الفتح القسى في الفتح القدسي"*، دار المنار، د.م، د.ت.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، *الوافي بالوفيات*، ط2، دار فرانز شتاينرب قيسباون، 1974م، د.م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، *الوافي بالوفيات*، اعتناء: وداد القاضي، ط2، دار صادر، بيروت: ،1991م.

البنداري، الفتح بن علي، *سنا البرق الشامي*، تح: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي بمصر، الأزهر، 1979م.

اليونيني، قطب الدين موسى، *ذيل مرآة الزمان*، ط1، دار المعارف، د.م، 1954م.

النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، *الدارس في تاريخ المدارس*، أعد فهارسه: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1990م.

النسوى، محمد بن أحمد، *سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي*، تح: حافظ أحمد حمدى، دار الفكر العربي، مصر، 1953م.

الصرفي، رزق الله منقريوش، *تاريخ دول الإسلام*، مطبعة الهلال، مصر، 1907م.

البكري، عبد الله، معجم *ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

الهروى، أبي الحسن علي بن أبي بكر، *الإشارات إلى معرفة الزيارات*، تح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2002م.

الزبيدي، المرتضى، *ترويج القلوب في ذكر الملوك بني أيوب*، تح: صلاح الدين المنجد، ط2، دار الكتب الجديد، بيروت، 1983م.

البرزالي، علم الدين، *المقتفي على كتاب الروضتين" تاريخ البرزالي*"، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.

الكتاني، عبد الحي، *فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، اعتناء: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1982م.

الخزنداري، شهاب الدين قرطاي، *تاريخ مجموعة النوادر مما جرى للأوائل والأواخر*، تح: هورستهاين، محمد الحجيري، ط1، كلاوس شقارتس برلين، بيروت، 2005م.

محمد باقر الموسوي، الميرزا، *روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات*، مؤسسة اسماعيليان، طهران، 1962م.

العاصمي المكي، عبد الملك بن حسين، *سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي*، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

الغياثي، عبد الله بن فتح البغدادي، تاريخ الدول الإسلامية في الشرق، تح: طارق نافع الحمداني، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2010م.

التطيلي، بنيامين، *رحلة بنيامين التطيلي*، تر: عزرا حداد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م.

الكناني، بدر الدين محمد، *تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم*، اعتنى به: محمد بن مهدي العجمي، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت،2012م.

الظاهري، خليل بن شاهين، *زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك*، صححه: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1893م.

الداوودي، شمس الدين، محمد بن علي، *طبقات المفسرين*، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

الكرمي، مرعي، *ثناء الأئمة على ابن تيمية*، تح: نجم عبد الرحمن خلف، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

ابن أبي الوفاء، محي الدين، *الجواهر المضية في طبقات الحنفية*، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر، الرياض، 1993م.

الكرمي، مرعي، *الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية*، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

العبادى، أحمد مختار، *في التاريخ الأيوبي والمملوكي*، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1992م.

أحمد، رضا." *إسهام المرأة في المجال العمراني والثقافي في العصر الأيوبي*"، مجلة العمارة والفنون، جامعة رابرين، ع.1.

أمين، أحمد، *ظهر الإسلام*، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

الدباغ، إيمان طلعت، نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2019م.

العلي، إبراهيم محمد، *شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة*، ط1، دار القلم، دمشق، 2000م.

الحارثي، عبد الله بن ناصر، *الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد*، تح، سعيد عبد الفتاح عاشور، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2007م.

الحوبرى، محمود، *بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبين*، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1992م.

السرجاني، راغب، *قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي*، ط1، مؤسسة أقرأ، القاهرة 2008م.

الكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط3، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة،2002م.

الندوي، أبو الحسن الحنبلي، *رجال الفكر* والدعوة في *الإسلام*، تقديم: مصطفى السباعي، مصطفى الخن، ط3، دار ابن كثير، دمشق، 2007م.

الزركلي، خير الدين، *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*، ط15، دار العام للملايين، بيروت، 2002م.

البيطار، محمد بهجة، حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، فلسطين, 1961م.

المزيني، إبراهيم بن محمد، *الحياة العلمية في العهد الزنكي*، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2003م.

المكين، جرجس بن العميد، *أخبار الأيوبيين*، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت.

الزغبي، محمد بن عبد الملك، *مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ*، ط1، دار التقوى، الإسكندرية،2010م.

الصياد، فؤاد عبد المعطي، الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين" أسرة هولاكو خان"، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، قطر، 1987م.

الصياد، فؤاد عبد المعطي، *المغول في التاريخ*، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.

الحميدي، عبد العزيز، *التاريخ الإسلامي مواقف وعبر*، ط1، دار الدعوة، الإسكندرية، 1998م.

المدرس، عبد الكريم، *علماؤنا في خدمة العلم والدين*، عني بنشره: محمد علي القره داغي، ط1، دار الحرية، بغداد، 1983م.

البدري، عبد العزيز، الإسلام بين العلماء والحكام، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، د.ت.

المغلوث، سامي بن عبد الله، *أطلس أعلام المحدثين*، ط1، العبيكان، الرياض، 2019م.

الصويركي، محمد، معجم *أعلام الكرد في التاريخ الإسلامي والعصر الحديث في كردستان وخارجها*، بنكه زين، السليمانية: ،2006م.

المرزوقي، نجاة، *الدور الريادي العلمي للمرأة في ظل الحضارة الإسلامية تاريخ ورؤية*، مؤسسة الشارقة الدولية، جامعة الشارقة: ، 2017م.

إيليا، برهان حنا، آمد مدينة الفخر من نشأتها إلى عام 1924م، ط1، مطبعة الإحسان، حلب، 2008م.

الزركلي، خير الدين، *الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)*، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

الغامدي، سعد بن محمد حذيفة، *المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية*، ط1، وزارة الأعلام، الرياض، 1990م.

الديوه جي، سعيد، *تاريخ الموصل*، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1982م.

القنوجي، صديق بن حسن ، *أبجدية العلوم " الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1889م.

الصلابي، علي، نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2007م.

الصلابي، علي، *الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي*، ط1، دار المعرفة، لبنان، 2007م.

الصلابي، علي، *صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، ط2، دار المعرفة، لبنان، 2008م.

الكعبي، عبد الحكيم، *الجزيرة الفراتية وديارها العربية(ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر)*، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2009م.

السلمان، عبد الماجور، *الموصل في العهدين الراشدي والأموي*، المكتبة الوطنية، د.ت.

الغامدي، عبد الله بن أحمد آل غنيم، *منهج الأمام ابن الصلاح في تقرير العقيدة والرد على المخالفين*، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1424هـ.

الكهاري، عدي بن مسافر، *اعتقاد أهل السنة والجماعة، تح: حمدي عبد المجيد السلفي*، تحسين إبراهيم الدوسكي، ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، 1998م.

بدر، عايدة، *الطبقات الاجتماعية والدينية للمجتمع الايزيدي*، جامعة القاهرة، 2018م.

العزاوى، عباس، *تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم*، بغداد، 1935م.

القيسي، نوري، ناجي، هلال، رسائل ابن الأثير، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د.ت.

الحايك، منذر، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ط1، الأوائل للنشر، دمشق، 2006م.

المطوي، محمد العروسي، *الحروب الصليبية في المشرق والمغرب*، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1982م.

القزاز، محمد صالح، *الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية*، مطبعة القضاء، بغداد،1970م.

العبده، محمد، عبد الحليم، طارق، *الصوفية نشأتها وتطورها*، دار الأرقم، الكويت، 1997م.

الزيدي، مصعب حمادي." *فقهاء دولة الناصر صلاح الدين الأيوبي*"، مجلة آداب الرافدين، الموصل، ع. 71، (2017م).

العمري، محمد نبيل." *تحقيق القول في عقيدة الشيخ عدي بن مسافر وبيان مدى صلته باليزيدية*" ، الجامعة الأردنية، ع.1،(2011م).

الشمري، غانم شيخان، *عماد الدين زنكي فاتح الرها* ، ط1، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت، 2017م.

الداهوك، أحمد محمد، *دور سلاح الرعب في سياسة المغول العسكرية اتجاه العالم الإسلامي" 615- 658هـ/ 1218- 1260م*"، كلية الآداب قسم التاريخ والآثار، غزة، رسالة ماجستير،2015م.

الرواحي، خميس بن علي بن سيف، *موقف العلماء المسلمين في العراق وبلاد الشام من الغزو المغولي*، جامعة آل البيت، كلية الآدب والعلوم الإنسانية، رسالة ماجستير، 2011م.

ابن بطوطة، محمد اللواتي، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، تح: محمد عبد المنعم العريان، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987م.

ابن بدران، عبد القادر، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م.

بول، استانلي، *طبقات سلاطين الإسلام*، تر: عباس اقبال، تح: علي البصرى، دار المنشورات البصرى، د.م، 1968م.

بدوي، عبد المجيد أبو الفتوح، *التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد*، ط2، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م.

باحويرث، سماح بنت سعيد، *الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر سلاطين المماليك*، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير،2010م.

بكنغهام، جيمس، رحلتي إلى العراق سنة 1816، تر: سليم طه التكريتي، مطبعة أسعد، بغداد، 1968م.

بيضون، جميل، عودات، أحمد والناطور، شحادة، *تاريخ المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى القرن السابع الهجري*، ط1، دار الأمل، الأردن، 1989م.

بروكلمان، كارل، *تاريخ الأدب العربي*، تر: رمضان عبد التواب، مر: يعقوب بكر، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1977م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، *مجموعة الفتاوى*، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، السعودية، 2004م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، *الوصية الكبرى" رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أتباع عدي بن مسافر*"، علق عليها: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، ط1، مكتبة الصديق، السعودية، 1987م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، *رسائل من السجن*، جمعها، محمد العبدة، ط4، دار طيبة، الرياض، 1986م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، فقه الجهاد، تع: زهير شفيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، 1992م.

ابن تغري، جمال الدين أبي المحاسن، *النجوم الزاهرة فيملوك مصر والقاهرة*، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935م.

ابن تغري، جمال الدين أبي المحاسن، *المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي*، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1984م.

تقي الدين، محمد بن عمر، *مضمار الحقائق وسر الخلائق*، تح: حسن حبشي، عالم الكتب ،القاهرة، 1401هـ.

تقي الدين، أبي بكر بن أحمد بن محمد بن قاضي شهبة، *طبقات الشافعية*، علق عليه: الحافظ عبد العليم خان، ط1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1979م.

تقي الفاسي، أبي الطيب المكي، *ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد*، تح: محمد صالح بن عبد العزيز المراد، ط1، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،1997م.

ابن جبير، أبو الحسين محمد، *رحلة ابن جبير*، دار صادر، بيروت، د.ت.

أبو جهل، عبد الفتاح عاشور، *جهود علماء مصر والشام في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية*، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين، رسالة ماجستير، 2010م.

أبو جهل، عبد الفتاح عاشور، *الناصر صلاح الدين*، المؤسسة المصرية العامة، د.م، د.ت.

ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي، *كتاب صورة الأرض*، ط2، دار صادر، بيروت، 1928م.

ابن حجر، شهاب الدين، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، دار الجيل، بيروت، د.ت.

ابن حجر، شهاب الدين، *الإصابة في تميز الصحابة*، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

حاجي خليفة، مصطفى، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د.ت.

حسن، إبراهيم، *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*، ط14، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م.

حمدي، حافظ، *الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي*، دار الفكر العربي، القاهرة، 1950م.

حيدر، مصطفى، إبراهيم، نوري." *العلماء المنسوبون إلى هكاري*"، مجلة العلوم الإسلامية، م. 2، ع.1، (2019م).

حجة، شوكت، روايات المؤرخين المعاصرين للغزو المغولي بين عامي 657-699هـ/ 1259- 1300م دراسة وتحليل، جامعة الخليل، قسم التاريخ، د.ت.

حميد، نهى فضل الله." *إمارة ميافارقين الأيوبية ووقوفها في وجه الغزو المغولي 627-658هـ/ 1230-1260م*"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع. 125- 126، كانون الثاني(2014م).

ابن خلدون، *الخبر عن دولة التتر تاريخ المغول من كتاب العبر*، تح: أحمد عمراني، دار الفارابي، لبنان، 2013م.

ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين، *وفيات الأعيان وأبناء الزمان*، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

خسرو، ناصر، سفر نامة، تر: يحيى الخشاب، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.

خليل، عماد الدين، الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

ابن رجب، زين الدين أبي الفرج، *الذيل على طبقات الحنابلة*، صححه، محمد حامد الفقر، السنة المحمدية، القاهرة، 1953م.

ابن رافع السلامي، تقي الدين محمد، *تاريخ علماء بغداد(منتخب المختار)*، علق عليه: عباس العزاوي، ط1، مطبعة الأهالي، بغداد، 1938م.

ابن رافع السلامي، تقي الدين محمد، الوفيات، تح: صالح مهدي عباس، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن رسلان، محمد بن سعيد، *حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية*، ط2، مكتبة المنار، القاهرة،2002م.

رائد، عبد الرحمن." *الفقيه عيسى الهكاري ودوره في عهدي أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي*"، دار المنظومة، م. 21، ع.1،(2019م).

رونثال، فرانز، *علم التاريخ عند المسلمين*، تر: صالح أحمد العلى، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.

زكار، سهيل، *الجهاد من عصر الحروب الصليبية*، التلوين، دمشق، 2007م.

زكار، سهيل، *الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية*، دمشق، 1995م.

زهير كاظم عبود، *عدي بن مسافر مجدد الديانة الأيزيدية*.

زكي، محمد أمين، *مشاهير الكرد وكردستان في العهد الإسلامي*، مراجعة: محمد علي عونى، مطبعة السعادة ، مصر، 1947م.

أبو زهرة، محمد، ابن تيمية "حياته وعصره – آراؤه وفقهه"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991م.

ابن سعيد المغربي، نور الدين، *بسط الأرض في الطول والعرض*، تح: خوان قرنيط خينيس، مطبعة كريماديس، تطوان، 1958م.

ابن سباط، حمزة، تاريخ ابن سباط، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، جروس برس، طرابلس، 1993م.

سبط ابن الجوزي، أبي محمد يوسف، *مرآة الزمان*، د.م، د.ت.

سعداوى، نظير حسان، *المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962م.

سليم، محمود رزق، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبة الآداب، د.ت.

سلطان، طارق، أحمد، رضا." *مدارس الخاتونات والأميرات الأيوبيات في بلاد الشام في العصر الأيوبي*"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، م. 7، ع.4،(2008م).

سليم التل، عمر، *متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي دراسة تاريخية*، ط1، دار المأمون للنشر، الأردن، 2009م.

سلام، محمد زغلول، ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

ابن شداد، بهاد الدين، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين*، تح: جمال الدين الشيال، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م.

أبي شامة، شهاب الدين عبد الرحمن، الروضتين *في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، علق عليه: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان, 2002م.

أبي شامة، شهاب الدين عبد الرحمن، *تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين*، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

ابن شداد، عز الدين محمد، *الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة*، تح: يحيى عبارة، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1978م.

ابن شاهين الظاهري، خليل، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس،1893م.

شميساني، حسن، *مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة 1515م/ 921هـ* ، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1987م.

شبولر، برتولد، *العالم الإسلامي في العصر المغولي*، مر: سهيل زكار، نقله إلى العربية: خالد أسعد عيسى، ط1، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1982م.

ابن صلاح، تقي الدين أبو عمر بن عثمان الشهرزوري، *طبقات الفقهاء الشافعية*، رتبه: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تح: محيي الدين على نجيب، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1992م.

ابن صلاح، تقي الدين أبو عمر بن عثمان الشهرزوري، *علوم الحديث*، تح: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق،1986م.

صبره، عفاف سيد، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ط1، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1987م.

طقوش، محمد سهيل، *تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام*، ط2, دار النفائس، لبنان, 200م.

طقوش، محمد سهيل، *تاريخ الحروب الصليبية(حروب الفرنجة في المشرق)*، ط1، دار النفائس، لبنان، 2011م.

طقوش، محمد سهيل، *تاريخ المغول العظام والإيلخانيين*، ط1، دار النفائس، بيروت، 2008م.

طليمات، عبد القادر، مظفر الدين كوكبورى أمير إربل، المؤسسة المصرية العامة، مصر، 1964م.

طليمات، عبد القادر، *ابن الأثير الجزري المؤرخ*، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر،1969م.

ابن عساكر، أبي القاسم علي، *تاريخ مدينة دمشق*، تح: عمر بن غرامة العمري، ط1، دار الفكر، بيروت، 1998م.

أبي عبد الله محمد، بن عبد الهادي الصالحي، *طبقات علماء الحديث*، تح: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

علي، محمد كرد، *خطط الشام*، مطبعة المفيد، دمشق، 1928م.

عبد الهادي الصالحي، أبي عبد الله، *العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية*، تح: طلعت بن فؤاد الحلواني، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 2002م.

عمر، أحمد مختار، معجم *اللغة العربية المعاصرة*، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008م.

علي، حسين، تاريخ مدينة ماردين من الفتح الإسلامي حتى العصر العثماني، الحياة، د.ت، د.م.

عمار، جمال فوزي، *التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية*، ط1، دار القاهرة، القاهرة, 2001م.

عبد محمد، سوادي، *الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي*، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

أبو عليان، عزمي عبد محمد، *مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في عهد المماليك*، دار النفائس، الأردن، 1994م.

عبد المنعم، فؤاد، *شيخ الإسلام ابن تيمية والولايات السياسية الكبرى في الإسلام*، ط1، دار الوطن، الرياض ،1417هـ.

عاشور، فايد حماد، *الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي*، ط1، جروس برس، لبنان، 1995م.

عاشور، فايد حماد، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996م.

عبد المهدي، عبد الجليل، *الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي*، وزارة الثقافة، الأردن، 2009م.

عرجون، محمد الصادق." *نموذج من دعاة الإصلاح في عصور الركود الفكري*"، مجلة الوعي الإسلامية، كويت، ع. 88، شهرية،(1972م).

علي، حسين، الدور العلمي لمدينة حران منذ القرن الثاني حتى السابع الهجري، الحياة، أنقرة، 2020م.

علي، العبد محمد." *ابن تيمية والمغول*"، مجلة الوعي الإسلامي، دار المنظومة، ع.187،(2016م).

عرنوس، محمود بن محمد، تاريخ *القضاء في الإسلام*، المطبعة المصرية الأهلية الحديثة، القاهرة، د.ت.

علي، وفاء، *قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام*، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة ،1987م.

عبد الله، يسرى، معجم *المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري*، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

أبو غدة، محمد زاهد، *حدث في الرابع عشر من صفر وفاة القاضي بهاء الدين، رابطة العلماء السوريين*، 2019م.

فنديك، ادورد، *اكتفاء القنوع بما هو مطبوع*، صححه: محمد علي الببلاوي، مطبعة الهلال، مصر، 1896م.

فهمي، عبد السلام، *تاريخ الدولة المغولية في إيران*، دار المعارف، القاهرة،1981م.

فواز، زينب، الدر المنثور في طبقات ربات الخدود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله، *المعارف*، تح: ثروت عكاشة، ط4، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م.

قداوي، علاء محمود، *الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية*، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع ،الأردن، 2015م.

قراقيش، نجوى، دور المرأة *في النهضة العلمية في القديم والحديث*، د.ت، د.م.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، *البداية والنهاية*، مكتبة المعارف، بيروت، 1991م.

كحالة، عمر رضا، معجم *المؤلفين*، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ت.

كحالة، عمر رضا، *أعلام النساء في* عالمي *العرب والإسلام*، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

كدرو، نرجس." *تداعيات الغزو المغولي على إمارتي ماردين والموصل وتأثيراته على أحوالها الاجتماعية والفكرية*"، مجلة دراسات موصلية، ع.63،(2022م).

كدرو، نرجس، *العلماء والسلطة" نماذج لبعض العلماء من العهد الأموي إلى العهد العثماني*"، تحرير، متين شريف أوغلو، سونجاغ، ماردين، 2022م.

لسترنج، كي، *بلدان الخلافة الشرقية (العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسية الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور)*، تر: بشير فرنسيس، مؤسسة الرسالة، إيطالية، 1905م.

ابن مسكويه، أحمد بن محمد، *تجارب الأمم وتعاقب الهمم*، تح: سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002م.

ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم، *المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الأمام أحمد*، تح، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1990م.

ابن منقذ، أسامة، *الأعتبار*، علق: عبد الكريم الأشتر، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 2003م.

مجير الدين، الحنبلي العليمي، *الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل*، تح: محمود عودة الكعابنة، ط1، مكتبة دنديس، عمان، 1999م.

معدى، الحسينى، *صلاح الدين الأيوبي بطل الشرق والغرب*، ط1، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

مصطفى، شاكر، *التاريخ العربي والمؤرخون "دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام"*، ط1، دار العلم للملايين، بيروت،1979م.

معروف، ناجي، *عروبة العلماء المنسوبين في بلاد الروم والجزيرة وشهرزور واذربيجان في البلدان الأعجمية، وزارة الثقافة والفنون*، الجمهورية العراقية د.ت.

مفيد، محمد، *دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني*، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2010م.

محمد، مروة ، بديع محمد إبراهيم." *أوقاف النساء العلمية في الدولة العربية الإسلامية*"، جامعة الأنبار، العراق ، ، م.47، ع.2، (2020م).

مسير، ثاير نومان." *واقعة شقحب 702هـ ودورها في صد العدوان المغولي*"، مجلة ديالى، العراق، ع.58،(2013م).

معلوف، لويس، *المنجد في اللغة والأعلام*، ط29، دار المشرق، بيروت، 2008م.

معتوق، صالح يوسف، *جهود المرأة في رواية الحديث*، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1997م.

نقلي، آسيا سليمان ، *دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية*، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002م.

ابن هداية، أبي بكر بن هداية الله الحسيني، *طبقات الشافعية*، تح: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

ابن واصل، جمال الدين محمد، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تح: جمال الدين الشيال، دار الوثائق، د.م، د.ت.

وهبه، مصطفى، *موجز تاريخ الحروب الصليبية*، ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1997م.

ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، دار صادر، بيروت، 1977م.

ياسين، محمد نعيم، حقيقية الجهاد في الإسلام، ط1، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت، 1984م.

يوسف، محمد خير، *فقيهات عالمات*، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت.

يوسف، محمد خير، *المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي*، ط2، دار ابن حزم، بيروت، 200م.

السيرة الذاتية

المعلومات الشخصية:

الاسم واللقب: بيريفان دنيزر

الجنسية: سورية

المعلومات الدراسية:

الدرجة الدراسية	الوحدة التعليمية	تاريخ التخرج
الدكتوراه :	.....	.....
الماجستير :	.....	.....
الليسانس :	التاريخ | جامعة ماردين	2020 م
الثانوية :	القسم الأدبي	2017م

الخبرة في العمل

العام	المكان	المهمة
.....	.....	.....

اللغة الأجنبية

.....

المنشورات

1. .....
2. .....

T.C.

MARDİN ARTUKLU ÜNİVERSİTESİ

LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ

TARİH ANABİLİM DALI

YÜKSEK LİSANS TEZİ

12. VE 13. YÜZYILLARDA FIRAT ADASININ ALİMLERİNİN DIŞ TEHDİTLERE KARŞI ROLLERİ

Berivan DENİZER

Danışmanın

Dr. Öğr. Üyesi. NARJES KADRO

Mardin – 2022